
روايات مصرية للجيب
زهور
95
معنى السكوت



هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١

وقفتُ أمام الباب المغلق أتطلع إليه .. للمرة المائة وأنا آتى هنا .. وأشعر بنفس الألم فى كل مرة .. ولا أعرف ماذا أفعل .. هذه المرة قررت أن آتى بحدّاد ليفتح الباب ..

دفعت الباب بيدى فى حركة يائسة فانفتح .. لم أصدق . كل هذه السنين وأنا أدور حول المنزل لا أعرف أن الصدأ قد أكل السلسلة والقفل .. سقطت السلسلة وانفتح الباب بصعوبة والعجل يصرّ .

الحديقة المهملة أول ما واجه نظرى .. كيف نمت هذه الأعشاب والأشواك ؟

حقًا لقد أصبحت كالغابة !!

كنت أتخيل أنى سأراها جرداء بلا زرع .. ترى من أين يأتيها الماء ؟

لاحظت شريطًا واسعًا من الطحالب الخضراء .. صنبور الماء فى الحديقة به خلل ويُنزل خيطًا من الماء .. تذكرت أن صنبور الماء فى حديقتنا لا ينقطع عنه الماء أبدًا .. ربما لأنه شديد القرب من الأرض .. ما هذا ؟! لفت نظرى نتفة قطن بيضاء وسط كومة كبيرة من الأشواك . ما هذه ؟

قطعة ممزقة من فستان .. مددت يدى لأرى ما هى .. جرح الشوك يدى .. إنها وردة .. يا إلهى وسط كل هذه الأشواك استطاعت أن تبقى وردة .. وكأن هذه الأشواك نبتت خصيصًا من أجلها .

تذكرت أبى وهو يهذب الحديقة ويرعاها ويغرس البذور .. تذكرت فسيلة النخل تلك .. أصبحت نخلة مرتفعة ، لكنها مليئة بالجريد وغير مهذبة .. شجرة الكافور ، مدّت فروعها فى كل مكان ..

جزء آخر لم يصله الماء ، أصبح جافًا تمامًا .. أين يدى أمى وهى تسقى الزرع .. كانت يداكِ خضراء يا أمى .

لم أعرف .. ماذا أفعل .. نظرت حولى .. البيت .. كنت خائفة من النظر إليه .. اتجهت نحوه .. فكرت وأنا أنحنى لأنظر تحت المشاية .. أمن المعقول أن أجد المفتاح هناك ؟ أيمكن هذا ؟

لم أصدق .. وجدته .. ما زال موجودًا .. أدخلت المفتاح ، دار بصعوبة شديدة حتى أنى خشيت أن ينكسر .. مع أنه مازال يبرق وكأننا تركناه البارحة فقط .

كانت أمى تتركه خصيصًا لى ، لكنى كنت أصمم على دق الجرس ، أضع يدى على الجرس ولا أتركه حتى تفتح الباب ، دائمًا متعجلة . ظننت أنى سأرى أمى عند الباب وسأسمع ضحكات أبى بصوته الأجشّ تجلجل فى المنزل .. لم أتخيل شكل البيت وهو فارغ .. قبضنى وآلمنى .. تلال من الغبار وخيوط العنكبوت تملأ المنزل ..

لا أصدق ، أهذا بيتنا ؟ كان دائمًا يبرق من النظافة .. كنت وأنا صغيرة أعتقد أن هناك سحرًا فى الأمر . فكيف تستطيع يدا أمى الصغيرتان تنظيف البيت بهذه الدقة ؟!

أين براويز الصور واللوحات الجميلة التى كانت معلقة على الحوائط؟ أطلَت المسامير فارغة تدل على مكان كل برواز كان معلقًا هنا أو هناك ..

أين قطع الأثاث ؟ أين أمى وأبى ؟ شعرت برغبة محمومة فى البكاء والضحك فى آن واحد .. آه يا بيتى الجميل .. ملأتنى خيوط العنكبوت . نفضت وجهى ويدى .. فتحتِ إحدى النوافذ من بين أكوام الغبار بصعوبة .. دخل الضوء البيت .. لا أعرف ماذا أفعل .

دخلت الحمام لأغسل يدى .. ضحكت فى سخرية من نفسى ، يا لعقلى الفارغ ! لاتوجد مياه بالطبع ، فقط أكوام من الأتربة . وجدت مكنسة ودلوًا .. أمسكت المكنسة لأنظف قليلاً .. وجدت نفسى أحرك الغبار من مكان لمكان وحسب .. غطانى الغبار .. من أين أبدأ .. دخلت المطبخ ، وجدت كرسيًا وجلست عليه لا أدرى من أين أبدأ .. ما إن أرفع المكنسة حتى تتطاير أكوام الغبار .. أخذت الدلو لأحاول ملأه من صنبور الحديقة ، نجحت فى أخذ بعض الماء ..

دخلت وبدأت أرش الماء فى المطبخ والصالة ، ثم كنست وأخرجت التراب إلى الحديقة .. بعد أن انتهيت وجدت الأمر مُضحكًا لأنى سأعود لأملأ الصالة بالتراب عندما أنظف الحجرات .. عمومًا علىّ أن أقلق مع هذا الأمر فى حينه .. عُدت آخذ قليلاً من الماء لأغسل يدى ووجهى .. أخذت الكرسى ورفعته أمام النافذة المفتوحة وجلست .

شردت بذهنى :

- لكن يا ماما أنا أريد أن آتى معكم .

- لا يا حبيبتى لا بد أن تذهبى للمدرسة .

- لكنى أستطيع أخْذ إجازة .

- الامتحانات اقتربت ولو جئتِ معنا لن تذاكرى .

- إذن اتركينى أبقى فى البيت هنا .

- لا يا حبيبتى لن أطمئن عليك إلا فى بيت علياء أختى .

- ولماذا ستأخذين (سامى) معك ؟

- (سامى) مازال صغيرًا .. ليس لديه مدرسة .. كما أن خالتك لن تقدر عليه .

شعرت بأن الكلمات تتردد فعلاً فى فراغ الحجرات .. ليتنى ذهبت معهم .. هل كان حظى الحسن كما تهامس الجميع .. أم هو سوء حظى ؟

.. يارب .. استعذت بالله من الشيطان الرجيم .. لكل أجل كتاب .. فقط افتقدهم جميعًا .. افتقدتهم بشدة .. ماما وبابا .. و(سامى) . تدافعت الدموع إلى عينى .. (سامى) .. كنت أغار منه برغم أنى كنت تقريبًا المسئولة عنه .. لو كان على قيد الحياة لكان الآن فى التاسعة .. عيد ميلاده الشهر القادم .. بكيت بشدة .. ماذا أفعل وحدى فى هذه الدنيا .. وأشياء كثيرة تُفرض علىّ فرضًا .. عاد ذهنى يشرد ..

- بابا .. أرجوك .. لأجل خاطرى يا بابا .

- لا يا حبيبتى سأحضر لكِ معى كل ما تتمنينه .

- لا أريد سوى أن آتى معكم .

- لا فائدة .

- إذن اتركنى أبقى فى البيت ، لا أريد الذهاب عند خالتى .

- أتحبين أن تذهبى عند عمك صادق ؟

- لا يا بابا ، لا بيت عمى ولا بيت خالتى .

- لا يمكن يا حبيبتى .. فقط اعتنى بنفسك جيدًا .. ونحن سنرجع سريعًا بإذن اللـه .. وتعالى لرعاية الزرع ونحن غائبون .

أى زرع يا أبى .. لم يعد هناك شىء .. وأنت لم تعُد كما وعدت ..

بين يوم وليلة أصحو لأجد أنى بلا عائلة .. يتيمة الأبوين .. عدت أتوه بذهنى ..

- تستطيع (هدى) أن تأتى لتعيش معى .

- لقد تركوها عندى يا (صادق) .. كما أن (محمود) قد سافر منذ أيام و(ثناء) متعلقة جدًا بـ (هدى) .

- كما تحبين يا (علياء) .

* * *

مصيرى يتقرر دون أخذ رأيى وكأننى قطعة متاع تُنقل من هنا لهناك ولا رأى لها ، أين تريد الذهاب . حتى لو خيرونى ، ماذا كنت سأختار .. عمى أم خالتى .. لم يكن الأمر ليفرق كثيرًا فى الحالتين ، لا هما أبى ولا أمى ..

ترك عمى مسئوليتى على عاتق خالتى .. فلديه ما يكفى من الأبناء .. يأتى لزيارتى من حين لآخر .. يسأل عنى .. يُعطينى نقودًا .. أكثر شىء أكرهه أن يعطينى نقودًا .. ما الذى جعلنى أتذكر كل هذا ؟ لقد مر زمن على كل هذا ، لا أملك الآن سوى أن أدعو بالرحمة لهم .. حمدًا للَّه على كل شىء .. حمدًا لله .. لم أستطع منع نفسى من البكاء .. أفقت لنفسى ، يجب أن أذهب الآن .. نفضت ثيابى قدر ما استطعت ..

تُرى أين وضعت المفاتيح ؟ وجدتها فى المطبخ .. أغلقت الباب وأعدتها كما كانت .. جريت لباب الحديقة وأغلقته ، وحاولت إعادة السلاسل كما كانت

لتبدو البوابة كأنها مغلقة .. لابد أن آتى بسلاسل وقفل جديدين برغم أنه لاشىء هنا ليُسرق .. حتى الذكريات ، أظنها هربت من البيت ، وجاءت تسكن عقلى .. استدرت وأسرعت الخطى حتى لا أنظر خلفى وأعود لأستجيب لنداء عقلى المثقل بالذكريات والحاضر فى نفس الوقت .. شعرت بأنى على وشك أن أصطدم بشخص فى الطريق . ولأتفاداه ضربت آخر بكتفى فى ذراعه . تأسفت له دون أن أرفع رأسى أو أنظر له .. لابد أن شكلى غير المرتب وملابسى المتسخة منظر لا يسر أحدًا رؤيته ، لذلك أسرعت أكثر ..

تذكرت شعرى .. كيف لم أنظفه لابدّ أن العناكب لا تزال تملؤه هى والأتربة .. حاولت تنظيفه بيدى .. ماذا سأقول لهم ؟ أين كنت .. وماذا كنت أفعل ليصبح شكلى هكذا ؟ وإذا قلت هل سيفهمون ما أشعر به ؟ لا أدرى كيف لا يتسع لى بيت خالتى أنا وذكرياتى .. فتحت الباب برفق ، وتسللت للحجرة .. لا أحد

بالصالة ليرانى حمدًا للـه .. أغلقت البـاب واستندت إليه .. خلعت حذائى وأخذت منامتى .. أخذت حمامًا دافئـًا لكنى سريعًا خرجت .. دخلت تحت الغطـاء السميك برغـم دفء الجو .. ابنـة خـالتى لاتستخدم غطاء تقريبًا ، وتستغرب حاجتى لكل هذه الأغطيـة . لكنى لا أستطيع النوم بدونهـا .. أسندت رأسـى على الوسادة ، وماكدت أفعل ، حتـى سمعت خـالتى تنقر على الباب وتفتحه ، ثم صرخـت بقدر مـا يسمع لهـا صوتها الرقيق وبشكل مرح ..

ـ ألأنك عروسة اليوم تنامين حتى الظهر .. السـاعة أصبحـت ١٢ ومـا زال أمامنـا الكثير لنجهزه يـا ذات العشرين ربيعًا .

قمت معتدلة وابتسمت لهـا .. هكذا أصحـو ، فلم تشك بشىء .

تحسست ضفيرتى بقلق . لم أفكهـا ، فقط غمرتها بالماء ثم حاولت تجفيفهـا قدر الإمكـان .. استيقظت ابنة خالتى ، فحمدت اللـه على أن نظر خالتى تحـول

إليها وهى تتمطى وتتثاءب وتعبث بشعرها المنسدل على كتفيها وهى توجه كلامها لأمها :

ـ وأنا ، ألم أتم الثانية والعشرين أم أنـا ليس لـى نصيب مع ذات العشرين ربيعًا ؟!

تثاءبت ونامت مرة أخـرى ، وشدت علـى جسدها طـرف المـلاءة المتدليـة والتفت بـه . وإمعانـًا فـى العبث وضعـت بـاليد الأخرى وسـادة فوق رأسـها ، فضحكت أمها وذهبت إليها تحـاول إبعاد الوسـادة أو الملاءة ، والفتاة تضحك ، ثم تركتهـا وذهبت دون أن تستطيع تحريكها من مكانها .. كل هذا وأنا جالسـة . وددت لو أنام قليلاً لأريح جسدى وعقلى ، لكن لدى الكثير لأفعله . ولو أنى لا أريد .. لا أن أفعل شيئًا ولاحتـى الاحتفـال .. مـاذا تعنـى سنواتى العشرون ؟ ليس لهـا دلالة سـوى أن سنة أخرى مرت علىّ فى بيت خـالتى . أتممت أربع سنوات . هكذا كان يجب أن يقولوا .. ربمـا كان على عمرى أن يتوقف عند السادسة عشرة كمـا كان يوم جئت .. ربمـا .

لا أدرى شيئًا سوى أنه يجب أن أقوم ـ على الرغم منى ـ

لأعد عشرات الأشياء الصغيرة .. والكبيرة ..
واستسلمت برغمى لصخب الإعداد لحفل عيد ميلاد
فتاتين شابتين إحداهما تتم العشرين ، والأخرى الثالثة
والعشرين .. نعم ، لكنها تُصر على أنها نهاية الثانية
والعشرين فقط .. لافرق .. اندمجتُ وضحكتُ وداعبت
وتقبلت الدُعابات .. لا أدرى كيف .. لكن عندما وقفنا
أمام قالب الحلوى وعليه عشرون شمعة كما طلبت ..
شمعات صغيرة غرستها بنفسى .. فأنا لا أحب الأعداد
الجاهزة التى تضعها ابنة خالتى .. أحبها شمعات
صغيرة كثيرة .. وددت لو أطفئ أربع شمعات فقط
وأترك الست عشرة مضاءة والنور مطفأ ، وأتخيل أمى
بجانبى بفستانها الرمادى الجميل ، وشعرها المعقوص
وحُليّها البسيطة الرائعة تقف إلى جانبى ، تهمس فى
أذنى : « تمنىَ شيئًا لسنواتك القادمة » .

أفقت على صوت صراخ وضحكات واستعجالات من
حولى .. أطفأت الشموع الست عشرة بنفخة واحدة ،
لكنى لم أتمنَ .. ماذا سأتمنىَ ؟ أن ألحق بهم .. فى

يوم مثل هذا لا أظن .. لأترك هذه الأمنية لوقت آخر
فى الحجرة والنور مطفأ .. أوقدوا النور ، فقد كاد
يعمى بصرى !

تحركن هنا وهناك ، صديقاتى وصديقات (ثناء) ،
مهرجان فتيات !

شعرت بالدموع تتدافع فى عينى .. كم أنا ضعيفة !
كرهت نفسى ، لكنى لم أثر عليها ، ليس اليوم ، وليس
الآن ، ربما فى وقت آخر وأنا فى ظلمة حجرتى .. أخفيت
دموعى .. وددت لو يذهب الجميع ويتركونى وحدى ..
جاءت خالتى تكلمنى - ناقص أطباق يا (هدى) -
ضحكت . لا أدرى لماذا تنطق خالتى اسمى بهذه
الطريقة الغريبة ، فهى لا تنطق الألف اللينة كما
ينطقها الجميع ، لكنها تجعلها ياء ممطوطة ذات
رنين أجنبى غريب ، أو كما تنطق ابنتها كلمة « أنا
جاى » بدلال كأنها فتى لا فتاة شابة .. أشياء صغيرة
غبية تشغلنى - وجدت (ثناء) ابنة خالتى - أقصد
(سوسو) كما تُصر أن نُناديها - فى المطبخ تلتهم

قطعة حلوى ، فأعطيتها الأطباق لتخرج بها وجلست وأنا أود لو أخرج من المنزل أو على الأقل أدخل للحجرة ، و(ثناء) ليست بها ، أقصد (سوسو) ، وأطفئ النور حتى لا أرى تلك الصور المعلقة للممثلين والمغنين الأجانب والعرب والمصريين ، وكلمة (سوسو) بالإنجليزية . لا أدرى من أهداها إياها لكنه بالتأكيد لا يعرف شيئًا عن الإنجليزية أو ربما عن كيفية نطق (سوسو) فقد كتب النطق (ساسو) .. أشياء تافهة تشغلنى للمرة المليون ، ولا أدرى كيف أبعدها عن ذهنى .. خرجت قبل أن يأتوا باحثين عنى ، وقفت أنظر لزوج خالتى .. ينظر للفتيات من طرف عينيه وهن يتحركن هنا وهناك .. كم أحسده على هدوئه ، وكم أمقت هذا الهدوء بل البرود القاتل ..

لاشىء يعجبنى ، أنا أعلم ، ولكن هكذا دائمًا لا أعرف ماذا أفعل ولا أفعل ما أعرف .. أكملت المهلة لآخرها ، والغريب .. أنى استمتعت بها ـ لا أعلم كيف فعلت ذلك ،

ولكن يبدو أنى لم أعد أعرف الفرق بين الابتسامة المرسومة بإتقان وابتسامة السعادة الحقيقية .

يجب أن أجمع الأطباق وأنظف قليلاً ، الجميع متعب .. صرخت خالتى بصوتها الرقيق كعادتها وهى تدخل حجرتها ، ثم تخرج رأسها :

ـ اتركى كل شىء للصباح ..

تسللت (سوسو) بلا صوت ليس كعادتها .. لكن يبدو أنها متعبة بشدة . إنها فتاة جيدة وليست لينة أو مدللة للدرجة التى تبدو بها لأول وهلة . إنها فقط فتاة .. لا أدرى كيف أصفها .. مرتاحة إذا جاز التعبير . لملمت ما أستطيع ووضعته فى المطبخ ونظفت المائدة ، ثم أسرعت فخلعت حذائى ودخلت الحمام لأبدل ملابسى لا أحب أن أبدل ملابسى فى وجود أى شخص أيًا كان ، حتى أمى رحمها الله .. دخلت لأنام .. الستائر مفتوحة والشيش كذلك مفتوح من الخارج ، لكن الزجاج مغلق ، تبدو من ورائه السماء الزرقاء بنجوم كثيرة ، حاولت أن أحصيها ،

لكن النوم غلبنى برغم أنى حاولت إبقاء عينى مفتوحة ، لكنى غفلت وحلمت بأنى عدت لمنزلى ونظفته وأعدته كما كان .. وضعت فيه أثاثًا ومفروشات وستائر جميلة كالتى كانت أمى تضعها ، خاصة فى المناسبات .. حلمت وتهت فى البيت المهمل الذى لايفكر أحد فيه .. وفى شجرة الكافور الجميلة .. وفى الشجرة الأخرى التى تكاد تهوى على السور ، وفى الوردة .. نعم فى الوردة البيضاء الصغيرة التى تسجنها الأشواك لتحميها .. ربما مع الأشواك حق ؛ فالوردة لن تتحمل قسوة الخارج .. لكن لابد أنها تتشوق لتجربة الحرية ولو لمرة واحدة ..

أفقت وفتحت عينىّ ، كانت النجوم ماتزال فى السماء .. أكملت العد عشرين ونمت ملء جفونى أحلم بالغد المشرق وماسأفعله بالبيت ، نمت ملء جفونى أنا ذات العشرين ربيعًا .

* * *



استيقظت فى اليوم التالى باكرًا .. (سوسو) لاتزال نائمة .. خرجت من الحجرة . خالتى نائمة كذلك .. عمومًا لا أحد يتوقع أن يستيقظوا قبل الظهر ، خصوصًا بعد تعب الأمس .. نظفت الأطباق ، وحاولت إعادة التنظيم للبيت قدر استطاعتى .. وقررت الذهاب لبيتى . أخذت بعض الملابس القديمة : بنطلون جينس ، وتى شيرت ، وإيشارب لرأسى ، ومنشفة ، وضعتها فى حقيبة ، وقررت تركها هناك . وأنا فى طريقى اشتريت إفطارًا .. دخلت اليوم بلاتردد ، وفتحت المنزل .. فتحت كل النوافذ ليدخل ضوء النهار .. دخلت حجرتى .. عارية من الأثاث ، ليس بها سوى عروسة (لعبة) قديمة من القماش فقدت لونها وأحد أطرافها .. أسعدتنى جدًا .. أبدلت ملابسى وبدأت أعمل باجتهاد فى أول الأمر ، ثم تعبت فخرجت للحديقة وغسلت وجهى ويدى ، وجلست لأتناول إفطارى .. شعرت بأنه أشهى طعام أكلته منذ تركت المنزل .. أخذت

مياهًا من الحديقة واستطعت قطع جريدة من النخل
وبدأت فى تنظيف الأسقف والحوائط من العنكبوت ،
ثم بدأت أنظف الحوائط وأرض الغرف . أبعدت المياه
الفائضة ، وتركت المنزل يجف .. المنزل خاوٍ
وتنظيفه ليس بالصعوبة التى تخيلتها .. فكرت فى
إحضار بعض قطع الأثاث .. ولكن من أين ؟

لقد باعوا أثاث المنزل دون أن يعطونى فرصة
لأحتفظ بأى قطعة منه ، أو حتى من ملابس أمى ..
لاشىء ، حتى سريرى لم ينقلوه إلى منزلهم ..
ربما كى لا أحزن .. لكن أين كنت أنا ؟ فعلوا كل
شىء أمامى وأنا كشبح حزينة لا أشعر بشىء ، وغير
قادرة على فعل شىء .. لم أكن أريد الخروج من
المنزل ، لكنهم أخذونى ، وأخرسنى حيائى وحججهم
القوية .. فكيف تبقى فتاة - خاصة أنها فى السادسة
عشرة من عمرها - وحدها .. بماذا كنت أجيب ؟؟

أفقت من تأملاتى ، عدت آخذ الدلو من تحت
صنبور الحديقة ، فنظفت الحمام فقط حيث كان مليئًا

بالغبار .. عدت أنتظر أن يمتلئ الدلو بقدر من المياه ..
دخلت لأنظف نفسى من الغبار .. أخرجت المنشفة
من حقيبتى .. نظفت نفسى وبدلت ملابسى .. كل حركة
من هذه الحركات أسعدتنى .. خرجت وأغلقت المنزل ،
ثم باب الحديقة .. لابدّ أن أعيد الماء والكهرباء
للمنزل . لن أخبر خالتى .. سأذهب وحدى وأقوم
بالإجراءات . لم أعد صغيرة .. تذكرت بخيبة أمل أنى
لا أملك نقودًا تحت يدى ، ولا أستطيع أن أطلب ، فنقودى
تحت وصاية عمى ، وما يخص إنفاقى الشخصى تحت
يد خالتى ، وهى طيبة وليست بخيلة ، لكن أنا
يؤلمنى أن أطلب نقودًا ، بل أن أقبل ما تعطينى هى
إياه ، حتى عندما أحتاج إلى شراء ملابسى ، أو نقودًا
لمصاريف الدراسة حتى لو كانت من نقودى أنا ..
وأجدنى بعد كل هذا الوقت لم أعتد على أخذ نقود .
لم أكره نفسى وأكره خالتى عندما تعطينى نقودًا ،
فهى لا تقدر أو تتصور مشاعرى تجاه هذا الأمر .

كنت أتمنى لو أدير أموالى بنفسى ولو كانت قليلة ،

وأحاول أن أنميها ، لكنى دائمًا ، صغيرة فى رأيهم .. يمنعنى حيائى حتى أن أسأل كيف تستثمر .

فمهما كانت قليلة فهمى مستقبلى ، ولا أريد أن يعطينى أحد نقودًا ، ولا أستطيع التحدث فى هذه الأمور ، فهى حساسة جدًا . لا أستطيع مناقشتها مع أحد .. لا حل سوى أن أعمل .

استغرقتنى أفكارى ، ولم أشعر سوى وأنا أدخل المنزل بالفعل ، الساعة الآن الحادية عشرة جيد جدًا . لا أحد استيقظ حتى زوج خالتى ، فاليوم الأحد يوم إجازته الأسبوعية . قضيت أربع ساعات فى الجنة ولكن متعبة . دخلت وأبدلت ملابسى لأنام .. عندما تستيقظ خالتى وتجدنى قد أنجزت بالفعل نصيبى من التنظيف ، بل وأكثر منه قليلاً ستتركنى أنام .. شعرت بخالتى توقظ (سوسو) فى هدوء حتى لا أستيقظ . وعندما سألتها عن السبب أخبرتنى أنى لابد قد استيقظت مبكرًا لأنظف ، ولم تعرف أن الأمر لم يستغرق سوى دقائق قليلة قبل أن أنام ، ونصف

ساعة بعد أن استيقظت ، فأنا سريعة فى التنظيف ، ولا أحب التراخى فيه .. صحوت فجأة وانتفضت جالسة .. الساعة الواحدة . لم أنم سوى ساعتين ، لكنى اكتفيت .. جلست فى سريرى أفكر . هل من السهل أن أخبرهم بعزمى على العمل ؟ لا أدرى .

- ألا يجب أن أجد العمل فى البداية ؟ ضحكت من سذاجتى .. الجديدة ..

قمت متعجلة ، دخلت إلى خالتى فى المطبخ ، عاجلتنى :

- صباح الخير يا (هدى) .

- صباح النور .. طنت . أين الجرنال ؟

كنت أعرف أنها لاتحب أن أناديها خالتى ..

- على مائدة الطعام ، أكيد عمك تركه هناك .

فردت الجريدة على الأرض وبدأت أتصفح الإعلانات المبوبة ..

وظائف خالية .. أين هى؟ حسن .. طلبة جامعيون ..

ماذا سيعملون ؟ أكيد مندوبين للمبيعات ، لا يهم ، سأجرب حظى .. أتصل بالتليفون وأسأل .

- آلو .. لو سمحتِ .

قاطعتنى قبل أن أكمل :

- شركة الضياء للتجارة والتسويق .

- لو سمحت .. أنا أتصل بشأن الإعلانات .

- تفضلى غدًا فى الشركة ومعك سيرتك الذاتية وصورتك و ....

قاطعت استرسالها :

- ما هى الوظيفة المطلوب شغلها .

- حضرتك خريجة أى كلية ؟

- أنا طالبة فى كلية الزراعة .

بدت كأنها لم تسمعنى وهى ترد فى آلية :

- هناك أعمال فى كل أقسام الشركة .. والمقابلة الشخصية هى التى ستحدد .. اسمك لو سمحت .

- (هدى محيى الدين فؤاد) .

- لديك ميعاد غدًا الساعة الخامسة .

دخلت علىّ (ثناء) وأنا أغلق السماعة ففزعت .

- فاجأتنى ..

سألتنى فى فضول :

- من تكلمين ؟

- عمل .

- عمل مرة واحدة .. أصبحت سيدة أعمال ؟

- ولِمَ لا ؟ فكرة جيدة سأصبح سيدة أعمال قريبًا .

- إذن ما أدخلك زراعة ؟ كان عليك دخول تجارة .

- وما أدراكِ أنتِ بكل هذا ؟ يكفيك كليةَ الآداب التى تخرج عباقرة الآداب .

- لن أعلق ، فلا وقت لدىّ .

- ماذا وراءك .

ـ سأتنزه يا سيدة الأعمال ، تفضلى واختارى أحد هذه الفساتين .

ـ لماذا أختار وأنتِ لا يُعجبك ذوقى ؟

ـ كى أختار الذى لا يُعجبك .

ضحكت أنا و(ثناء) معًا . عادت تؤكد :

ـ حقيقى يا (هدى) أريد أن ألبس علِى ذوقك اليوم .

ـ لماذا ؟ خير .. هل أنتِ مريضة ؟

ـ لا ، ولكنى أحترم ذوقك الراقى .

كانت تتكلم بأداء مسرحى مبالغ فيه ، أضحكنـى ، تمالكت نفسى .

ـ حسن لن تتركينى فى سلام حتى أنتقى لـك ، أنـا أعرفك ، عندما تُصرين على شىء .. الأخضر جميل ؟

ـ متأكده ؟ أليس الأصفر أجمل ؟

أجبتها بغضب :

ـ (سوسو) .. لقد سألتنى رأيى .

ـ حسن .. حسن .. الأخضر الأخضر .. أنا لا أستطيع إغضابك أبدًا . .

ـ ألا تأتين معى ؟

(حدثتنى وهى ترتدى الفستان) .

ـ شكرًا أنا أريد أن أجلس مع نفسى قليلاً .. أريد أن أنتهز الفرصة ، وأنك أخيرًا ستتركين لى الحجرة .

ـ غدًا أتركها لك تمامًا .. لتشبعى بها .

ـ يارب .. متى يحدث هذا .

ـ قريبًا جدًا .. العرض القادم ..

وقفت أمام المرآة تصفف شعرها ، سمعت صوت بوق عربة ملحًا ينطلق .

ـ اذهبى يا (سوسو) كلاكس عربة (داليا) سينفجر ..

استمرت صديقتها فى إطلاق كلاكسـات متعاقبـة . نظرت (سوسو) من النافذة وصرخت :

ـ هاى .. أنا نازلة حالاً .

استطعت سماع صوت (داليا) وهى تجيبها :

ـ بسرعة .. معززة كلامها بكلاكس طويل .

أعطتنى قبلة فى الهواء .

ـ لاتنسى إخبار ماما .

جريت وراءها منتفضة :

ـ ماذا ؟ ألم تستأذنى منها ؟!

لم تتوقف عن السير .

ـ طبعًا .. أمس فى الحفلة .

ـ يعنى لم تسمعك وأنت تسألينها .

ـ وأنا لم أسمعها وهى ترد .. البركة فيك .

فتحت البلب وهى تقول الجملة الأخيرة وأغلقته وراءها قبل أن أنجح فى الاعتراض .. نادت خالتى من حجرتها :

ـ من جاء ؟

ـ إنها (سوسو) ، لقد خرجت .

ـ أين ذهبت .

ـ مرت عليها (داليا) قالت إنهم سيتنزهون .

ـ حسن .

كنت أعرف أنها لن تمانع ، وكذلك (ثناء) تعلم .. لكنها متعجلة دائمًا حتى فى استئذان أمها .. مالى أنا وكل هذا ؟ هى حرة ، خصوصًا أنها لم تعد صغيرة ، إنها فى الليسانس هذه السنة .

ما إن دخلت الحجرة حتى سمعت خالتى تناديني ، فأجبتها :

ـ نعم يا طنط .

ـ تعالى يا حبيبتى .

طرقت باب حجرة نومها ودخلت . كانت مستلقية على السرير . اعتدلت قليلاً وربتت بيدها على السرير قائلة :

ـ تعالى يا (هدى) اجلسى بجانبى يا حبيبتى .

ـ حاضر ..

جلست وأنا استغرب .. تُرى ماذا هناك ؟ لاحظت خالتى حيرتى فأخبرتنى أنها تريد أخذ رأيى فى موضوع .

- خيرًا بإذن اللّه .

- طبعًا يا حبيبتى خير .. ما رأيك ، أين نصيّف هذه السنة ؟

ضحكت بقوة .. جدية خالتى تُشعرك كأنها تسألنى أن نقرر ، هل نخوض الحرب هذا العام أم لا ؟

- ماذا يضحكك يا حبيبتى ؟

- أبدًا يا طنط . لكن كالعادة إسكندرية لا يُعلى عليها .

- أهذا رأيك ؟

- طبعًا .

- (سوسو) أيضًا مصممة على الإسكندرية . كنت أظن أنكما ستصممان على أن نغير المكان هذا العام .

- لماذا ؟ ألا تريدين الذهاب للإسكندرية ؟

- كنت أريد التغيير .. عمومًا أنتم الأهم والأغلبية .

- لماذا ؟ ما رأى عمى ؟

- عمك ممتنع عن التصويت .

- أحسن شىء .

أجبتها مبتسمة ، ثم نظرت لها مترددة دون أن أعرف هل أكلمها الآن أم لا ؟

- (هدى) هل تريدين شيئًا يا حبيبتى ؟

- أردت أن أستأذنك فى أن أبحث عن عمل .

- لماذا يا حبيبتى ؟ هل ينقصك شىء ؟

- أبدًا ، فقط أنا مللت ، وأريد فعل شىء مختلف ، كما أن العمل تجربة جيدة ومفيدة .

- وأين ستعملين ؟

- لا أعرف بعد .. قد أذهب للتدريب فى أى شركة .

- لكن يا حبيبتى ....

قاطعتها :

- لكن ماذا يا طنط . لم يبق لى سوى سنة وأحصل على البكالوريوس .

ـ كما تحبين يا (هدى) .. لكنى سأخبر عمك أولاً .

تضايقت قليلاً ، عمومًا أنا أخبرهم كواجب علىّ .. ولا أظن زوج خالتى سيرفض ، فهو طيب جدًا .. تذكرت عمىّ مرّ وقت وأنا لم أسأل عنه وهو كذلك لم يسأل عنى . استأذنت خالتى .. وذهبت أتصل بعمى . عاتبنى ككل مرة .. لا أعرف من الذى عليه أن يسأل عن الثانى ؟ على أى حال أرسلت السلامات إلى أبنائه وزوجته ، وكلمت (نادية) ابنته .. قمت بما يجب علىّ ، هذا جيد ، المرة القادمة يتصل هو ، هذا هو العدل .

لا شىء لدىّ لأفعله ، جلست فى السرير مستلقية أنظر إلى سقف الحجرة .. ثم قمت متثاقلة بعد فترة لأفتش عن شىء أقرؤه .. كل الروايات قرأتها على الأقل مرتين . لابد أن أذهب لأبدل وأحضر قصصًا جديدة .. ابتسمت وأنا أتذكر كيف كُنت أقرأ فى كل وقت بلا توقف أيام الإجازة والدراسة على السواء . كانت أمى تعترض على كثرة قراءاتى .. أخذتنى الذكريات ، ولم أفعل شيئًا .

أخرجت جيبة وبلوزة .. تذكرت نصيحة أحد الدكاترة

فى الكلية ، لو ذهبت لمقابلة شخصية ارتدى (تايير) .. أخرجت (تاييرًا) زاهيًا ، ثم أرجعته . قاتم أحسن .. كلاسيكى بلون الكاكاو ، أو أفتح قليلاً ، فبرغم سمارى إلا أنى أحب الألوان الفاتحة والغامقة على السواء .. حذاء بكعب منخفض ومريح . لا أحب الأحذية العالية وإن كنت أرتديها أحيانًا ، أنا أعتقد أن طولى كاف ، كما أنها تضر الظهر ، وأنا أحب أن أسير على حريتى . لو لم أقبل فى الوظيفة سأذهب للتدريب فى أى شركة .. إن معى كمبيوتر ولغة ..

عادت (سوسو) بسرعة .. ألقت بنفسها على السرير حتى دون خلع حذائها ...

ـ ماذا حدث يا (سو) ؟

هكذا أدللها أحيانًا أو أغيظها بمعنى أصح .. لم ترد . خلعت الحذاء بقدميها وتركته يسقط دون أن تتحرك .

ـ مالك يا (سو) ؟

ـ متعبة جدًا .. سأموت من التعب .. مشى ومشى !

ـ بهذه السرعة تعبت .

ـ أى سرعة ؟ أنا فى الخارج لأكثر من ٦ ساعات .

٦ ساعات لم أشعر بها تمر .. أكملت (ثناء) :

ـ هل تعشيتم .

ـ لا .. ليس بعد .

ـ لقد أكلنا فى مطعم .. جميل بشكل لايُصدق .

ـ أنتِ والشلة ؟

ـ شلة من يا بنتى ؟ أنا .. و(أحمد) .

لافائدة فيها . لاأدرى كيف تخرج معه . أعلم أنه طلبها رسميًا . لكن زوج خالتى أمهله حتى تنهى دراستها مع موافقة مبدئية .. لكنها كانت مبهورة به .. بقوة شخصيته .. ببكالوريوس الهندسة الذى يحمله .. بطريقة حديثه ، بسكناته .. بحركاته .. بكل شىء فيه .. عمومًا الأمر لايخصنى ، ولم يعد من حقى التكلم فيه ثانية .. قررت أن أنام بدون عشاء .. أعدت تعليق التايير واستلقيت على السرير صامتة . شددت الغطاء ،

وأخذت وسادتى الصغيرة تحت رأسى ، ولعبة قطيفة أحبها فى أحضانى ، وأعطيت ظهرى لـ (ثناء) ..

بعد فترة قصيرة سألتنى (سوسو) :

ـ هل نمتِ ؟

فأجبتها :

ـ نعم .

ـ كفّى عن مضايقتى .

فاعتدلت وسألتها :

ـ ماذا تريدين بالضبط ؟

ـ (أحمد) يريد منا أن نعلن الخطوبة الآن .

ـ عمى لن يوافق .

ـ لكن (أحمد) مصمم .

ـ إذن اجعليه يُقنع عمى .

أجابتنى :

ـ أنا أفكر فى أن أجعل ماما تفاتحه أحسن .

أجبتها مستنكرة : -

- خالتى !! ألا يجب أن تقنعيها هى ذاتها فى البداية ؟

- هذا ما كنت أقوله يا (هدى) ، شطارتك أنتِ أن تقنعيها من أجل ابنة خالتك المسكينة .. ولكِ كل ما تطلبينه .

- ولماذا لا تكلميها أنتِ .

- يا (هدى) يا حبيبتى ، ماما تتأثر برأيك أكثر منى ، أنت العاقلة الراسية .

- أنا لا عاقلة ولا راسية .

- (هدى) . أرجوك . أليس . لى خاطر عندك ؟

- حسن فقط اتركينى أنام الآن .

- ولماذا لا تحدثينها الآن ؟

- فى الصباح . أفضل أن يكون عمى قد ذهب للعمل .

قامت (سوسو) لتقبلنى وهى تقول :

- أرأيت العقل .. عقبى لكِ يا قمر .

قلت فى نفسى لا .. ما زال أمامى وقت طويل . إن لدىّ الكثير والكثير لأفعله .

★ ★ ★

٣

أيقظتنى (ثناء) باكرًا على غير عادتها ..

- استيقظى يا كسلانة .

قمت معتدلة :

- ماذا هناك ؟

- ألن تكلمى ماما ؟

استغرقت لحظة لأجمع أفكارى .

- أكلمها فى أى شىء ..

نظرت لى (ثناء) باستنكار ..

تذكرت .

- آه حاضر .. لكن هل هى استيقظت ؟

- نعم أسمع صوتها .. اذهبى وكلميها ، هيا .

- سأذهب .. لكن لا تخرجى من الحجرة .. سأخبرها أنك نائمة .

ـ حاضر .. لكن أسرعى .. ولا تتركيها حتى تقتنع .

ـ أصبحت تعطينى أوامر .

ـ لا ليست أوامر ، هذا عشم .. يا روح قلبى .. يا حبيبتى قومى .

ـ أبدل ملابسى .. أغسل وجهى .

فيما بعد .. فيما بعد لقد خرج بابا .. ذهب إلى العمل .

ذهبت لأبحث عن خالتى كانت جالسةً فى (البلكونة) ، فرصة طيبة للحديث .. كانت تنسق مجموعة زهور .

ـ صباح الخير .

ـ صباح الخير يا (هدى) .

ـ هل يمكن أن أحدثك فى موضوع ؟

ـ طبعًا ممكن .. خير .

ـ (سوسو) يا طنط .

لم تبد اهتمامًا . كانت مشغولة أكثر بالزهور التى فى يدها .

ـ ما لها .

ـ ألن توافقوا لها على الخطوبة ؟

تركت ما فى يدها واعتدلت ..

ـ ما مناسبة هذا الحديث ؟

ـ يا طنط .. أليس من الأفضل أن تتم الخطوبة رسميًا حتىٍ يدخل (أحمد) ويخرج تحت أعينكم وإشرافكم .. بدلاً من أن تقابله من ورائكم ؟

نظرت لى خالتى فى غضب :

ـ هل تفعل هذا ؟

ـ أنا لم أقل هذا .. لكن (سوسو) متعلقة به جدًا .. و(أحمد) شاب ممتاز .. كما أن (سوسو) فى آخر سنة .. ما الداعى للانتظار ؟

ـ أولاً : هى لم تدخل آخر سنة بعد .. أنتِ تعرفين كيف كانت نتيجتها السنة الماضية .

ـ لكنها ستنجح بإذن اللّه . فلم يكن لديها سوى ثلاث مواد فقط .

ـ لا أريد لهذا الموضوع أن يعطلها عن الدراسة .

ـ لكنه بهذه الصورة سيعطلها أكثر .

ـ لا أعرف يا (هدى) .. أنا نفسى معجبة بـ (أحمد) كما أن ظروفه جيدة . وهذه هى المشكلة . إنه جاهز ومتعجل ، وأنا لا أرى داعيًا للاستعجال .

ـ لكنه لا يريد سوى خطوبة .. هيا يا طنط ، نريد أن نفرح بها .. ألا تريدين رؤيتها وهى عروس ، أم ماذا ؟

ـ لكن أنتِ تعلمين أن فهمى غير موافق .

ـ البركة فيكِ يا طنط ، كلمتان منك ويقتنع .

كنت أعرف أنها تتحجج بموضوع رأى عمى فهمى ، فهى التى ترفض .. فلولا رفضها لكان قد وافق .. وبسهولة شديدة ..

سكتت للحظة ، ثم عادت تمسك بالزهور .. سكتُّ أنا الأخرى أنتظر أن تتكلم هى :

ـ حسن يا (هدى) .. لولا أنكِ أنت من تسعى فى هذا الأمر لما وافقت ، لكن معك حق ، هى مشغولة به على أى حال ، من الأفضل أن يتقابلا تحت بصرنا .

ـ شكرًا يا طنط .. وألف مبروك .

قبلتها على خدها وأسرعت لأبشر (ثناء) .. طاردنى صوت خالتى :

ـ ليست قبل ظهور النتيجة .

فأجبتها :

ـ حاضر .

دخلت الحجرة وأنا أضع على وجهى قناع الجدية .

ـ يا خسارة !

اعتدلت (ثناء) جالسةً بسرعة فى منتصف السرير .

ـ ماذا يا (هدى) ؟ لا . لا تقولى إنك فشلت .

غطت وجهها بكفيها .

ـ يا للأسف يا (سوسو) !

ـ ماذا ؟ لم توافق !

ـ لا يا للأسف .. وافقت .

ألقت علىّ بكل الوسائد وهى تقول :

ـ يا شريرة .. يا باردة .. حسن يا (هدى) .. حسن .

تقطعت أنفاسها وهى تتكلم :

ـ ماذا .. أهذا جزائى ؟ حاضر .. سأذهب إليها وأخبرها أنى غير موافقة .. وأرى أن الأمر كله خطأ .

توجهتُ لباب الحجرة .. قفزت (ثناء) فى لحظة واحدة وأمسكت بى .

ـ لا . نحن ما صدقنا .. أنا آسفة .. حقك علىّ .

ـ لا . لن أتنازل ، ماذا ستعطينى .

ـ كل ما تطلبينه .

ـ أى حاجة ؟

ـ أى حاجة .

ـ الجاكت الأزرق .

ـ حاضر .

ـ والجيب الذى ترتدينه معه دائمًا .

ـ حاضر .

ـ والـ ...

قاطعتنى (ثناء) .

ـ لا .. كفى طمعًا ، سأحضرلك هدية أرخص من كل هذا .. علبة شيكولاته . سلسلة ذهب حتى .

ـ حسن . الجاكت والجيب وعلبة شكولاته ، مارأيك ؟

ـ لاشىء يغلو عليك أبدًا .. المهم أن يوافق بابا .

ـ يا بنيتى مادامت خالتى قد وافقت .. فقد انتهى الأمر . انسى .

ـ تعتقدين يا (هدى) ؟

ـ طبعًا .

ـ أذهب لأكلم (أحمد) وأفرحه .

ـ لا .. انتظرى حتى يوافق عمى فهى .

ـ ألم تقولى إن موافقته مضمونة ؟

ـ نعم . ولكن لابد من انتظارها .. اذهبى واشكرى ماما أهم .

ـ عندك حق .. إنها أغلى ماما فى الدنيا .

خرجت مسرعة والفرحة تتقافز من عينيها ومن كل كيانها ..

* * *

جهزت نفسى من أجل المقابلة الشخصية ، وذهبت

وملأت استمارة .. ثم أدخلونى . كان الممتحن لبقًا وأخبرنى أن الوظيفة مندوب مبيعات ، يبيع أجهزة فاكس وكمبيوتر وترجمة .. وبالعمولة .. رفضت .. إنه عمل مرهق وعائده غير مضمون .. ما أدرانى أنى سأنجح فى أن أبيع شيئًا ؟

عرفت أن توفير عمل يحتاج لجهد .. إن الأمر ليس بالسهولة التى تخيلتها .. أسبوع بأكمله أحضر مقابلات شخصية وأترك رقم تليفونى .. وبدا لى أنى لن أجد وظيفة بهذه الطريقة .. ليس هناك حل سوى الهجوم المباشر .. اخترت شركة أغذية قريبة ودخلت وسألت السكرتيرة .. وقبل صاحب الشركة إجراء مقابلة معى .

لا أدرى كيف واتتنى الجرأة .. عمومًا سعدت لأنه وافق على أن أتدرب عنده مقابل مكافأة بسيطة .. لابأس ، يكفى أنها بداية وأنى سأعمل فى تخصصى .. أحسن من لا شىء .. باستطاعتى أن أمر على بيتى ساعة كل يوم قبل العمل . فقد كان فى طريقى .. دون أن أشعر اخترت مكانًا قريبًا من بيتى .. أسعدنى هذا الأمر ..

ظهرت نتيجة الامتحانات ونجحنا أنا و(ثناء) .. كنت أخرج من المنزل وأدخل لا أعرف شيئًا عن أى شىء ..

- (هدى) يا هد .. هد ..

جاءت (ثناء) تتقافز .

- ألا تريدين معرفة آخر الأخبـار ؟ (أحمد) سيأتى غدًا ليحدد ميعاد الخطوبة .

- مبارك .. ألف مبارك .

- على فكرة .. (أحمد) يشكرك جدًا وأرسل معى سلامات كثيرة .

- العفو .. المهم ألا يعتمد على أنى سأتدخل مرة ثانية .

- إن شاء اللّٰه لن نحتاج إليك .

- هكذا .. بهذه السرعة استغنيت .

- وهل أستطيع .. إننا ندخرك للأصعب .

- لا زواج قبل الليسانس .. أنـا نفسـى لا أستطيع أن أطلب شيئًا كهذا .

- دعينا نعلن الخطوبة أولاً ثم بعد ذلك نفكر فى الزواج .

- نعم أرجوكِ.. إننا بصعوبة نجحنا فى إقناعهم .

- إياكِ أن تقولى إنك لن تأخذى إجازة وتساعدينى فى كل كبيرة وصغيرة .

- سو .. لقد وجدت هذا العمل بصعوبة .

تغير وجهها فأكملت :

- لا تغضبى .. كل وقتى بعد العمل ويوم الإجـازة لكِ وحدك .

- حسن نبدأ حالاً .. أريد شراء شىء لأرتديه عندمـا يأتون .

- كل هذه الملابس وتريدين شـيئًا جديدًا .. إنهـا ليست أول مرة يراك فيها (أحمد) .

- لذلك أريد شراء شىء جديد ومختلف .

* * *

بسرعة شديدة جهز (أحمد) كل شىء وتمت الخطوبة .. لم أستطع أن أصدق كيف تم كل شىء بهذه السرعة ، وإن كان علىَ أن أعترف أن الحفل كان رائعًا بكل المقاييس ... مر يومان دون أن أذهب لمنزلي .. اشتقت للذهاب .. اشتريت سلسلة لامعة وقفلاً كبيرًا لأضعهما على البوابة .. أخذت أمس إجازة لأحضر خطوبة (ثناء) .. لم أستطع دخول المنزل لأنى تأخرت .. فقط أزلت بقايا السلسلة والقفل القديمين .. ووضعت الجديد .. كدت أصطدم بسيدة مارة وأنا أسير بسرعة .

ـ (هدى) .. حبيبتى .. أين أنت .. لِمَ لا نراك ؟ كيف حالك الآن .. بخير كما أرى .. لقد كبرتِ كثيرًا .. لا أصدق كيف أصبحت . كانت قد أخذت يدى فى يدها بل أخذتنى أنا ذاتى فى أحضانها ، لم تترك لى فرصة لأفتح فمى وأتكلم .. لكنى لم أعترض فقد أعطتنى فرصة لأتذكر من هى .

ـ طنط (نورا) ؟

ـ طبعًا .. لقد نسيت كل شىء عنا حتى اسمى .

ـ أبدًا يا طنط أنتِ على بالى .

ـ وأنا التى لم أصدق (وليد) عندما أخبرنى أنه رآكِ .

لم أنتبه سوى فى هذه اللحظة .. للشاب الذى يقف بجوارها .. سلمت عليه .. لا أصدق ، أهذا (وليد) ! ماذا حدث له .. لقد طالت قامته بصورة كبيرة وتغير مظهره ..

ـ لقد اصطدمت بى فى المرة الماضية أنا الآخر .

لم أنتبه إلى أنه يقصدنى بالكلام فى البداية .. فلم أرد ، ثم تداركت واعتذرت له .. كنت أريد أن أتحرك ، فلا يعقل أن أظل واقفة والوقت يمر ، وأنا قد تأخرت بالفعل على ميعاد العمل .. وقفت صامتة سلمت على طنط (نورا) ، ستجعلِيننا نراك .. لا تنقطعى عنا ..

هل الاستعجال واضح علىّ ؟ سلمت ومضيت فى طريقى .. أهذا (وليد) ؟

ابتسمت ابتسامة كبيرة .. لا أصدق أنى كنت ألعب مع هذا الشاب .. وطنط (نورا) والدته صديقة أمى رحمها الله .. أشعر بقلبى ينتفض بشدة . يا لها من ذكريات .. أذكر كل شىء بتفاصيله ، فقد اختزنت كل ذكرى صغيرة كانت لى وسط جدران منزلى .. كل ذكرى لى مع أبى وأمى .. وأخى .. ومن كانوا يحيطون بنا فى هذه الفترة .. على عكس ما توقعت .. لم أتاخر على موعد العمل .. سعدت بالعمل وبمرورى على المنزل كل يوم . نظفت الأبواب والنوافذ وكل شىء ، وفكرت فى إحضار أدوات لأعمل فى الحديقة ، ثم تذكرت .. ستكون معجزة حقيقية لو وجدت الأدوات فى الجراج .. يبدو أنهم لم يجدوا لها قيمة لتباع . وجدتها . ولدهشتى كانت فى حقيبتها لم تصدأ .. لم أكن أعمل فى الحديقة فعلاً قبل ذلك ، لكنى كنت أساعد أمى وأبى قليلاً . عمومًا كان علىّ أن أشذب هذه الغابة ، وإن كنت لن أزرع شيئًا جديدًا حتى تتوفر الحياة .

* * *

- يجب أن تتركى العمل .

كنت جالسة أقرأ باستغراق شديد .. احتجت للحظة لأفهم ما تقوله خالتى . سألتها :

- ماذا ؟

- سنسافر بعد غد .

- إلى أين ؟

- إلى الإسكندرية .. لنصيّف .

- لكنى لا أريد .

تدخلت (ثناء) فى الحديث .

- لا يمكن .. يجب أن تأتى معنا .

كل يغنى على ليلاه .. طنت تريد منى أن آتى لأسليها وأجلس معها .. و(ثناء) تريدنى لأشغل خالتى عنها .. فـ (أحمد) سيذهب هو الآخر مع عائلته .. وأنا أريد البقاء ، فهى فرصة طيبة لأقضى أكبر وقت ممكن وحدى فى منزلى .. تجادلنا طويلاً .. تمسكت برأيى بشدة وتعللت بالعمل ، واحتدم النقاش .

- كما أنى لست صغيرة .. لم يبق على البكالوريوس

سوى سنة واحدة .. لكنى مستعدة أن أذهب لأبقى عند عمى هذه الفترة .. لو أنك خائفة علىّ .

كنت أعرف أنها لن تحب هذا الاقتراح . فبرغم عدم وجود مشاكل بينها وبين عمى .. إلا أنهما لا يتفقان كثيرًا ..

- لكن يا حبيبتى .

- يا طنط الموضوع بأكمله شهر واحد .. لماذا تخافين علىّ ؟ لو كنت ذهبت فى رحلة الكلية كنت سأعتمد على نفسى .. لأجل خاطرى وافقى أرجوكِ ..

نظرت إليها متوسلة .. كانت ضعيفة من ناحيتى ، ولا ترفض لى طلبًا .. كانت (ثناء) تقول - وكأنها تغار منى - أنتِ ابنتها المدللة .. لكن هل كنت كذلك حقًا ؟ لا أعرف .. وافقت خالتى .. أعطتنى مصروفًا لأنفق منه . ذُبت خجلاً وأنا آخذ النقود منها ..

- سأطمئن عليك بالتليفون .

- لا تشغلى بالكِ .

كنت أعلم أن شقة الإسكندرية لا تليفون بها .. لا أعلم لهذه اللحظة كيف وافقت على أن يسافروا بدونى .. شهر بأكمله سأقضيه وحدى .. آخذ فرصة لأستغرق فى أفكارى .. أعيش مع نفسى .. أعيد حساباتى .. أنا أعرف أنهم يحبوننى .. أنا أيضًا أحبهم .. لكنى لا أأتلف معهم .. فرق كبير بين أن يزور الإنسان أقاربه من حين لآخر ، وبين أن يعيش معهم تحت سقف واحد .. بالتأكيد فرق كبير .. كان علىّ أن أتحمل ذلك ، كما أن عليهم تحمله ..

الأمر اختلف عما تخيلت ، حيث استغرق العمل حيزًا كبيرًا من وقتى ، لا بأس .. يجب أن أنفق بأقصى تدبير ممكن ، وما سأوفره ، على مكافأة العمل ، ومبلغ كنت أدخره منذ فترة .. يبدو أنى سأستطيع فعل شىء جيد هذا الصيف ..

يوم الجمعة فرصة قررت أن أستفيد منها بأكبر قدر . استيقظت مبكرًا وذهبت للمنزل .. أنهيت تنظيم جزء كبير ، ثم نظرت لشجرة الكافور .. ياه .. منذ سنين وأنا لم أتسلقها . أريد أن أقطع فرعًا أو اثنين لينتظم

شكلها .. ترى هل أستطيع ؟ تعلقت بأحد فروعها ورفعت نفسى ، لا أصدق أنى مازلت أملك اللياقة .. شعرت بقلبى ينتفض من الإثارة أو الخوف لا أدرى .. أمسكت المنشار وبدأت أقطع .. آلمتنى يدى . لا بأس . سأقطع من مكان أبعد قليلاً .. آلمنى ذراعى .. سأقطع هذا الفرع وأنزل . وقد أكترى من يقوم بهذا لعمل .. وأنا أستدير سقطت من على الشجرة .. لم أشعر إلا وأنا ممددة على الفروع .. حمدًا لله تلقتنى هذه الفروع كشبكة .. انقطعت أنفاسى ـ أنزلت نفسى بصعوبة على سطح المنزل يا إلهى مازالت هناك قطعة واحدة .. نزلت من السلم إلى المنور .. باب المطبخ مغلق من الداخل .. لم أحسب حساب ذلك .. نظرت حولى وفتحت نافذة إحدى الحجرات . حمدًا لله على أنى لم أحكم إغلاقها . تسلقتها بصعوبة .. ما إن دخلت الحجرة حتى جلست على الأرض .. لأرى ماذا ألمَ بى .. قُطعَ البنطلون الجينز قطعًا طوليًا كبيرًا . حمى ذلك ساقى بأكبر قدر ، لكن لافائدة . كانت الدماء تسيل من الساق لابد أن أخلع هذا البنطلون .. كيف جننت لأصعد على

الشجرة بعد كل هذه السنين ؟! خلعت البنطلون بصعوبة شديدة .. آلمنى نزعه .. وآلمنى الجرح . يبدو أن الكاحل قد جذع أيضًا . فقط أرجو ألا يكون قد كسر .. ما هذه التصرفات الصبيانية التى أتصرفها .. أحتاج لأى إسعاف .. أين أذهب فى هذه الساعة من الصباح ؟

لن أجد أى عيادة أو حتى مستشفى يعمل .. إلا إذا دخلت الاستقبال . لن أستطيع المشى على أى حال .. أحسن حل هو صيدلية .. لابد أن هناك صيدلية ما تفتح فى هذه الساعة. مشيت أجرجر قدمى بصعوبة ، أو أحاول الحجل . سمعت شخصًا ما ينادينى .. كنت أشعر بالألم فى كل جسدى حتى فى عينى .. استدرت بصعوبة . كان (وليد) .

ـ أهلا ، كيف حالك ؟

ـ الحمد لله .. أجبته وأنا أصر على أسنانى .. لم أستطع أن أغسل الجرح حيث كنت أشعر بألم فظيع . استأذنته لأذهب . لايبدو أنه لاحظ أنى أعرج .. كنت أخشى أن أفقد وعيى فى الشارع حمدت الله على

أنى استطعت ارتداء ملابسى والخروج للشارع ، وإلا كنت سقطت فى المنزل ، ولم يكن أحد ليعثر علىَّ ربما حتى يتصفى دمى .. يبدو أنه قال شيئًا لم أسمعه . شكرته فلم أعرف كيف أرد . انتبهت قبل أن يمضى ـ صيدلية د / سعد . هل تعمل الآن ؟

ـ بلى .. أمتأكدة أنت أنك لا تريدين مساعدة ؟

كان القلق واضحًا فى صوته ، لكنى غير مستعدة حتى للرد ، ومع ذلك شكرته مرة ثانية .. سرت متحاملة على نفسى .. دخلت الصيدلية وأنا أكاد أسقط على الأرض .. جلست على أول كرسى صادفنى .. لم يكن الطبيب موجودًا ، فقط فتاة تعمل فى الصيدلية سألتها أن تساعدنى .. ليتنى أخذت (تاكسى) لأقرب مستشفى .. آلمتنى كل حركة قامت بها .. حمدًا لله لا توجد جروح حقيقية ، فقط خدوش بطول الساق اليمنى ، وأشياء بسيطة فى ظهرى والساق الأخرى .

لكن لابد من الذهاب للمستشفى للتأكد من موضوع الكسر .. أعطتنى مسكنًا وربطت قدمى برباط ضاغط ..

خرجت من باب الصيدلية وسمعت شخصًا ينادينى .. (وليد) للمرة الثانية .. كنت أشعر بعدم اتزان .

ـ نعم .. أجبته دون تركيز حقيقى ، وعرض مساعدته مرة ثانية فسألته أن يوقف لى (تاكسى) ففعل ، وركبت . سألنى بإلحاح قلق :

ـ أليس من الأفضل أن آتى معك ؟

لكنى شكرته وأخبرته أنى سأعود للمنزل .. كان هذا هو الحل الوحيد أمامى فقد دفعت كل ما معى فى الصيدلية ولا أملك نقودًا حتى لأدفع للسائق .. استأذنته وصعدت لأحضر نقودًا ، ثم ركبت مرة ثانية فى (التاكسى) وذهبت للمستشفى .. انتظرت ساعة قبل أن يأتى الطبيب .. كشف وأشعه وفى النهاية لاشىء خطر .. شرخ بسيط فى القدم وبداية الساق ، ومع ذلك أحتاج لجبيرة .. وذهبت كل النقود التى ادخرتها كأن لم تكن .. كل هذا لأن عقلى غير المتزن أوحى لى أنى أستطيع الصعود على الشجرة كما كنت أفعل منذ زمن بعيد ، وفوق ذلك أستطيع

قطع الفروع . على ذكر هذا الأمر ، شعرت بشدّ عضلى فظيع فى عضلة ذراعى .. لماذا لم أحضر شخصًا متخصصًا فى تهذيب الأشجار ؟ أين كان عقلى ساعتها ؟! عمومًا لن ينفع الندم .. ذهبت أحلام الصيف بأكمله .. لن أستطيع حتى الذهاب للعمل .. ترى هل ألحق بهم فى الإسكندرية .. أم أذهب لبيت عمى ، أو أبقى محبوسة بين أربعة جدران وحدى ؟ لا أدرى .. اتصلت بـ (ندى) صديقتى وحكيت لها . سألتنى عما سأفعله .

- لا شىء سأبقى فى البيت عقابًا لى على جنونى ، لعلهم عندما يأتون أكون قد فككت الجبيرة ولا يعلمون بما حدث .

عندما اتصلت خالتى كعادتها أخبرتنى أنهم سيمدون إقامتهم لأسبوع آخر - ألن تغيرى رأيك ؟

- لا يا طنط .. شكرًا .

تنفست الصعداء . حمدًا لله .. أتمنى أن ينتهى الأمر على خير والدراسة على الأبواب .

* * *



رن جرس الباب .. من يأتى فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ جررت قدمى بصعوبة .. كنت مستيقظة بسبب الألم ، ومع ذلك شعرت بتشوش فظيع وأنا أقوم .. الجرس الملحّ أفزعنى .. ارتديت روبًا - اللهم اجعله خيرًا .. سألت من خلف الباب عن الطارق دون أن أفتح :

- أنا (محمود) ..

- (محمود) من ؟

- افتحى يا (ثناء) لا تمزحى .. أنا (محمود) أخوكِ .

فتحت الباب .

- أهلا يا أبيه ، كيف حالك ؟ حمدًا لله على سلامتك .

- من .. (هدى) ؟ كيف حالك ؟ لا أكاد أعرفك .

أصلحت من نفسى بارتباك ..

ـ ألن تدعينى أدخل ، أم ماذا ؟

ـ كيف ؟ تفضل ..

شعرت بارتباك قوى يغمرنى .

ـ إنه منزلك .

دخل وأدخل حقيبة سفر متوسطة وأخرى على ظهره ، ساعدته فى إنزالها . جلس وفرد قدميه .. كل هذه السنين مرّت منذ آخر مرة رأيته فيها .. سافر فى نفس السنة التى جئت فيها . سألنى :

ـ « أين ماما وبابا و(ثناء) ؟ معقول لم يستيقظوا بعد ؟ » جلست أمامه وقلت !

ـ إنهم فى الإسكندرية .

كان فى السنة الثانية فى كلية الهندسة . أدى الامتحانات وسافر فى الإجازة الصيفية .. كان يرسل خطابات متفرقة .. لكنه لم يرسل عنوانه أبدًا ..

ـ هل أحضر لك طعامًا ؟

ـ كوب شاى من فضلك .

بدا عليه التعب والإرهاق .. ذهبت لأعد كوب الشاى .. وبعد ؟ إنه بيته هو ، وليس بيتى .. لن نستطيع الاستمرار هكذا .. هل أذهب إلى بيت عمى ؟ هذا هو الحل الوحيد ، فلا يعقل أن أذهب للإسكندرية وأنا بهذه الحالة .

عدت بكوب الشاى لأجده نائمًا .. استغرق فى النوم وهو جالس .. حاولت إيقاظه .. لكنه لم يصحُ .. وماذا بعد ! لو نام بهذا الشكل فسيصحوا بحالة أسوأ مما هو عليها الآن .. أبيه .. أبيه .. أبيه .. اعتدل قليلاً فى نومته على الأريكة .. وضعت غطاء عليه وذهبت . لن أشغل بالى أكثر من هذا .. جلست فى الحجرة .. ذهب النوم من عينى . أو هكذا اعتقدت .. أحضرت قصة لأقرأها .. لكنى غرقت فى النوم .. صحوت فجأة .. هناك شىء ما غريب ..

نعم .. تذكرت (محمود) جاء مساء أمس .. قمت لأعد طعام الإفطار .. جلست أمامه متحيرة .. ماذا أفعل ؟ أوقظه أم لا ؟ تأملت وجهه وهو نائم .. كبر كثيرًا فى السن .. ٤ سنوات لم أره . إنه أكبر من (ثناء) بثلاث سنوات ، وأكبر منى بست سنوات تقريبًا .. لم يكن كبيرًا .. مازال فى مقتبل العمر . إذن ما الأمر ؟. يبدو أنى استغرقت فى أفكارى .. فوجئت بـ (محمود) جالسًا ويكلمنى فسألته :

- متى استيقظت ؟

- الآن . وأنت تحلقين فى السماء السابعة .

- ماذا ؟

- أنا أمزح معك .. أين ذهبت ؟

- لا أبدًا لقد جهزت الإفطار .. ألست جائعًا .

- إنى أتضور جوعًا .. لم أضع شيئًا فى فمى طوال الطريق .. من نويبع إلى هنا .

- ماذا ركبت ؟ هل جئت بالمركب ؟

- لا .. جئت برًا .. فقد ذهبت عن طريق البحر ، وفكرت أن العودة عن طريق البر قد تكون ممتعة أكثر ..

حدثنى وهو يأكل .. يبدو أنه جائع فعلاً .. أحضرت مزيدًا من الطعام ..

- ماذا تنوى أن تفعل ؟

- هل تريدين التخلص منى ؟

- لا . أبدًا .. أقصد أنك لابد أن تكون مشتاقًا لرؤية والدتك ووالدك و(ثناء) .. أستلحق بهم فى الإسكندرية أم نبعث برقية ليأتوا هم ؟

سألنى متجاهلاً سؤالى له ـ لماذا لم تذهبى معهم ؟

- لم أرغب فى ترك العمل .

- هل تعملين .. حقًا .. هل أنهيت دراستك ؟ لكن كيف ؟ لا يمكن ، أنتِ مازلت صغيرة ، هل أخذت دبلومًا أم دخلت معهدًا ؟

- لا يذكر شيئًا نسى أنى كنت فى الثانوى العام عندما سافر .

ـ أنا أتدرب فى شركة مازلت طالبة فى الكلية .

ـ ولماذا لم تذهبى للعمل ؟ هل أخرتك ؟ هل أنا السبب ؟

ـ لا لقد تركت العمل . فقد أصابنى حادث بسيط .

لم يلحظ الجبيرة فى قدمى ولا عرجى الواضح .. استمر فى الأكل .. جلست أراقبه ـ دون أن آكل فقد شبعت منذ فترة ـ وأنا مشوقة لأسأله : كيف هى الحياة فى أوروبا ؟ وماذا فعل هناك ؟ ولماذا لم يأت فى إجازة كل هذه السنين ؟ ولماذا عاد ؟ ما البلاد التى مر عليها فى طريق العودة ؟ وماذا فعل فيها ؟ وفى نفس الوقت ملأنى التوتر .. إذا لم يوجد حل آخر أذهب معه إلى الإسكندرية .. فأنا لا أعرف كيف أبلغه بأن الموقف الذى نحن فيه غير لائق .

ـ هل تعرفين ماذا أحتاج إليه الآن ؟ لم ينتظر ردى وأكمل :

ـ حمامًا دافئًا .. أشعر بأنى لم أستحم منذ سنة .

لم أرد عليه .. هناك شىء غريب فيه .. شعره أطول من المألوف .. وذقنه .. نعم لم أعهده بذقن . هذا أكيد .. ماذا أفعل ؟

خرج من الحمام شخصًا مختلفًا .. تخلص من تراب السفر .. وهذب ذقنه ، احتفظ بها صغيرة ومرسومة بشكل أنيق ، وارتدى ملابس نظيفة أشار لنفسه قائلاً ـ أنا جاهز .

ـ لأى شىء ؟

ـ لأى شىء وكل شىء .. تأمرين به .

ـ هل نذهب للإسكندرية ، أم نبقى ونرسل لهم ؟

ـ ما رأيك أنتِ .

حيرتنى إجابته .. ماذا يقصد ؟

ـ أرى أن نذهب معًا للإسكندرية الآن .

لم أعرف ما أفعل سوى هذا .. كان هذا هو الحل الوحيد والقاطع ، الذى خطر على ذهنى .

ـ حسن ، كما تأمرين .. هل أنتِ جاهزة .

ـ سأذهب كما أنا . ثوان أُحضر بعض الأغراض .

جهزت حقيبة صغيرة جدًا .. نزلنا معًا ببطء شديد ، فقد كنت أستند إلى عكّاز صغير .. لم نجد أماكن في أى قطار إلا إذا انتظرنا ثلاث ساعات على الأقل .

ـ ما رأيك ، نركب أتوبيسًا ؟

ـ ولم لا ؟ فليكن .. لكن لاحظى أنى سافرت فى الأتوبيسات لفترة طويلة جدًا .

ـ إذا أردت ننتظر القطار ..

ـ أعتقد أن ما سنوفره من وقت سيضيع فى رحلة الأتوبيس ، ننتظر فى محطة القطار أفضل ، فالقطار أسرع بكثير .

ـ كما تحب .

لابأس ، عمومًا هذا أفضل لقدمى .. أستطيع أن أحركها ذهابًا وإيابًا وأريحها .. بل وأرفعها كذلك لو أردت .

فالقطار يسمح بمساحة أكبر .. تركته يقطع لى تذكرة .. ظللنا نتحدث طوال الوقت هو يحكى وأنا أسمع مبهورة بجولاته ، بالأعمال التى قام بها ، بالكتب التى قرأها ، بالناس الذين تعامل معهم .

ـ « لم عدت » ؟ لم أستطع منع السؤال .

ـ ألم تريدينى أن أعود ؟

ـ أنت تعرف ما أقصده .

ابتسم .

ـ معك حق .. لسبب بسيط .. أحد زملائى قابلنى وأخبرنى أنهم أعادوا القيد لدفعتى فى الكلية .. فرصة طيبة .. خصوصًا أنى لاينقصنى سوى سنتين فقط على البكالوريوس .

تذكرت وأنا أبتسم :

ـ هل أخبرتك ؟ لقد خُطبت (ثناء) .

ـ حقًّا .. كبرت سريعًا هى الأخرى .. لمن ؟ هل أعرفه ؟

ـ أكيد .. كان زميلك .. (أحمد سليم العدوى) ..

ـ (أحمد) .. (أحمد العدوى) .. لا أتذكر بوضـوح .. ربما لو رأيته أتذكره .

ـ ستراه .. تأكد من ذلك .

وصلنـا الإسكندرية دون أن نشـعر بمـرور الوقـت فنحن لم نكف طوال الوقت عن الحديث .

قال (محمود) :

ـ ستكون مفاجأة مضاعفة .

ـ أرجو فقط أن تكون مفاجأة مبهجة .

ظللنا نرن الجرس بلا فائدة .. لا أحد هناك .

ـ وبعد .. ماذا سنفعل ؟ هل ننتظرهم على السلالم أم فى أقرب كافتيريا ؟

هل كان يسخر أم يمزح ؟

ـ لا .. ننتظرهم فى الشقة ..

قبل أن يرد علىّ كنت قد أخرجت المفتاح ، وفتحت الشقة .

ـ ولماذا لم تفتحى من البداية ؟

ـ كيـف ذلـك .. وإذا كانـوا هنـا هل ندخل عليهم بلا استئذان ؟

ـ لكننا نضرب الجرس منذ ساعة ولا أحد يرد .

ـ لا ليست ساعة .. كما أنى ظننتهم نائمين .

نظر إلى ساعته وقال متعجبًا وهو ينظر لـى : فى مثل هذه الساعة !

ـ هل أنت نافذ الصبر هكذا دائمًا ..

ـ أنا متعب من طول السفر .

ـ وأنا كذلك متعبة ، ألا تلاحظ حالتى .

احتددت قليلاً وأنـا أحدثـه .. ليس مـن حقـه أن يكلمنى بهذه الطريقة .. جلست على أقرب كرسى ، وفردت قدمى على منضدة صغيرة أمام الأريكـة التـى جلس عليها (محمود) . شعرت بألم فظيع ..

- ترى أين ذهبوا ؟

- أكيد على شاطئ البحر .

نظر فى ساعته فقلت معه فى نفس الوقت :

- فى مثل هذه الساعة ؟

نظر إلى .. ثم ضحكنا .

- نعم فى مثل هذه الساعة ..٨ ما المشكلة .. أنا جائعة .. هل أجهز لك شيئًا معى .

- لن أرفض أبدًا .

بمجرد أن قمت فرد هو قدميه على المنضدة ، ووضعهما على بعضهما .. قلت له مشفقة :

- لو كنت تنوى النوم ادخل .. وافرد جسدك على أحد الأسرة . يكفى أنك لم تنم أمس فى حجرتك .

- أما زالت لى حجرة ؟

- طبعًا .. لا تخف ، لم أحتلها - أنا أنام فى حجرة (ثناء) .

- أنا لم أقل هذا أبدًا ..

كان يحدثنى وأنا فى المطبخ .. جهزت الأكل ووضعته لنأكل .. شهيته طيبة فعلاً .. نسف الأكل .. عندما يعودون لن يجدوا ما يأكلون .. هذا ما فكرت فيه وأنا أعيد ملء الأطباق .. قدمى لن تتحمل أن أعد طعامًا آخر .. لكن لابد أن أفعل .. فتحت الثلاجة لأبحث عن شىء يُعد بسرعة كى أجهزه لهم .. سأعد الطعام وأدخل لأريح جسدى .. نادانى :

- (هدى) .

- نعم .

- تعالى حدثينى قليلاً .. أربع سنوات بلا حوار حقيقى مع شخص من مصر .. أشتاق للحديث .. فكرت وكأنما لم يكفه كل الحديث الذى دار بيننا .

خجلت من إخباره كم أنا متعبة .. جلست لأتحدث معه.

- (هدى) .. (هدى) فتحت عينى لأجده منحنٍ علىَّ يوقظنى ..

- آسف لم أدرك كم أنتِ متعبة .

تنبهت لنفسى .. ماذا حدث لى ؟ كيف غفوت دون أن أشعر ؟

ـ بل أنا من يجب أن تعتذر . لا أدرى .. ماذا حدث .

ـ ادخلى نامى .. وسأنتظرهم ..

خجلت بشدة .. كيف تصرفت بهذا الشكل ؟ كان قريبًا منى يُحدثنى .. وفجأة فُتح الباب .. انتفضت ، لكنى لم أستطع الوقوف بسبب قدمى .. دخل زوج خالتى وخالتى و(ثناء) بالترتيب ، وهم يتحدثون . فى ثانية كان (محمود) بين ذراعى خالتى .. التفوا جميعًا حوله يحدثونه .. شعرت بأنه لا مكان لى فى وسطهم .. إنهم أسرة تجتمع بعد سنين بابنها الغائب .. سحبت نفسى إلى الغرفة ، لم يبق الكثير على فك هذا الجبس اللعين . أحمد اللَّه .. غرقت فى النوم فورًا .. ربما بسبب النوم القلق فى الأمس .. وتعب الانتظار فى المحطة ، ثم السفر .. كل هذا تراكم علىَ فنمت كالطفلة .

ـ ماذا .. من ..

شعرت بغرابة .. أين أنا ، استغرقت لحظة ، ثم أدركت أنى فى الإسكندرية .

ـ ماذا تريدين يا (ثناء) .. لماذا توقظيننى ؟!

ـ سنذهب للنزهة ألن تأتى معنا .

ـ ألا ترين قدمى ؟

ـ صحيح متى حدث هذا ، وأين ، وكيف ؟

ـ حدث منذ أسبوع فى الشارع ، وكيف ؟ ككل الناس وقعت .. اذهبى كى لا تتأخرى على (أحمد) .

ـ لا . تعالى معنا وسنمشى تاتا .. تاتا .

ـ ابتعدى عنى يا (ثناء) .

ـ حسنًا علاقاتك معى ، سنبقى هنا أسبوعًا وأنت بهذه الحالة !

ـ ابتعدى عنى يا (ثناء) أنا عصبية .. ولا أحتمل الكلام .

تراجعت (ثناء) وهى تشير بيدها مدافعة :

ـ حسن أنتِ حرة .. أنا سأخبر ماما .

جاءت خالتى بودها ولطفها الشديدين .

ـ مالك يا (هدى) يا حبيبتى ؟ سلامتك .. لم لم تبلغينى بالأمر ، فورًا كنا عُدنا ..

ـ لاشىء يا خالتى .. الموضوع بسيط وسأفك الجبس بعد يومين .

ـ تعالى معنا يا حبيبتى تتنزهين .

ـ شكرًا يا طنط أنا أريد أن أرتاح .

ذهبت مغلوبة على أمرها .. أنا أشعر بالاكتئاب ، لا أدرى لماذا .. ولن يُخرجنى منه لطف خالتى أو (ثناء) .. أريد أن أعود فورًا .. فالدراسة ستبدأ قريبًا ..

فى المساء تجادلوا وقال (محمود) : يجب أن أعود لتقديم أوراقى :

ـ إذن لماذا لم ترسل لنا نحن لنأتى ؟

نظر ناحيتى فخفضت بصرى ..

ـ أحببت أن أراكم بأسرع ما يمكن .. ابقوا أنتم هنا ، وسأذهب لتقديم الأوراق ، وتعالوا بعد انتهاء وقتكم .

ـ لانسافر جميعًا .

قالت ذلك (خالتى) وأمّن على كلامها زوجها .. تغير وجه (ثناء) لا أدرى لِمَ . فقد انتهت إجازة (أحمد) وسيسافر هو الآخر .. متى سأصبح فى الواحدة والعشرين ؟ متى !!

ركبنا جميعًا القطار .. جلسنا أنا و(ثناء) و(أحمد) و(محمود) فى مواجهة بعضنا للبعض . لم أحب أن أشعر بأنى (عزول) .. عمومًا دار حديث الذكريات بين (أحمد) و(محمود) . لم يكونا فى قسم واحد ، لكنهما كانا يعرفان بعضهما .. لم أنتبه للحديث الدائر .. لاشىء يخصنى فيه .. (ثناء) مازالت متغيرة الوجه .. لامفر من سؤالها . التفتّ وحدثتها بصوت خافت :

ـ ما الأمر يا (سو) .

ـ لا شىء .

ـ هل تشاجرت مع (أحمد) .

ـ أحدثك عندما نعود ..

ما إن أغلقت الحجرة علينا ، حتى بدأت فى البكاء ..

ـ ما الأمر يا (ثناء) ؟

ـ (أحمد) .

ـ ماله ؟

ـ يريدنا أن نتزوج بأسرع وقت أو يتركنى .

ـ (ثناء) أنا لا أرى مانعًا فى أن تتزوج الفتاة وهى تدرس لكنى لا أدرى .. ألا ترين أن (أحمد) يأخذ قرارات قاطعة وبلا عودة ؟

كما أنه اتفق مع والدك على أن لا زواج إلا بعد انتهاء الدراسة .

ـ أعرف .. لكنه يقول : إنه لاداعى للانتظار .. أستطيع إكمال الدراسة فى بيتى .

ـ (ثناء) أفيقى قليلاً .. هو يقول ، لم أنتِ ؟ هناك فرق .

ـ (هدى) ماذا أفعل ..

ـ لا توافقى طبعًا .. هل جننتِ ؟ والدك لن يوافق ولا والدتك . ليس لأنه قرر يجب أن يطيعه الجميع .. ليس الجميع مثلك .

* * *

٥

أخرجت كراستى لأكتب .. أشعر بالضيق .. دخلت (البلكونة) وبدأت أكتب .

علمنى ألا أخافك .. علمنى ألا أخاف الغد .. وأجبنى أينما كنت .. أجبنى أين أنت ..

علمنى كى لا أخاف أن أخبرك بأنى أخاف .. فأنا دومًا أخشى أن يهاجمنى الخوف .. علمنى ألا أخاف الحياة .. فأنا لا أخاف الموت . علمنى ألا أخاف الناس .. فأنا أخاف اللّه .

علمنى .. لأنى أخاف أنى وحدى قد لا أعرف كيف لا أخاف .. فكما علمونى الخوف .. علمنى ألا أخاف .. أنا لا أحب الخوف .. ولا الرجاء .

أنا لا أحب اليتم ولا التعود والانتظار .. ولا الأمل .. ولا أحب الغد .. علمنى كيف أحب اليوم .. علمنى ، فأنا لا أعرف كيف أبعد الحزن عنى .. كيف أقصيه عن قلبى وعينى ..

علمنى كيف أريد ، لأنى علمت نفسى ألا أريد .. لكنى مللت كونى لا أريد شيئًا .. فعلمنى كيف .

علمنى كيف البسمة من القلب لا من الشفاه فحسب .. علمنى لأنى لم أفعلها يومًا .. أعطنى كتابًا يُعلمنى كيف .. لأنى قرأت كثيرًا وحدى ولم أعرف كيف ..

علمنى لأنى .. لا أعرف لماذا .. وأسأل دومًا ولا أجد إجابة .. أجبنى .. خبرنى .. مادمت تقول إنك أكثر علمًا وفهمًا ، لأنك قرأت كل الكتب ، وحللت علامات الاستفهام الكبيرة .. أجبنى ، أعطنى فهمًا .. علمنى .. كيف أكون رقيقة وأخلع القسوة من قلبى المتحجر .. علمنى كيف أكون بسيطة لأنى لم أعقد نفسى بنفسى .. لا أعرف كيف أعود بسيطة .. أخبرنى لماذا .. أسأل وأبحث عن إجابة .. وأظن أنى أحتاج إليك كى تعلمنى شيئًا قد لا تعرفه .. لماذا لم أعرف وحدى معنى السعادة ؟ ولماذا وحدى عرفت الألم ؟ أخبرنى ، لماذا سأصدقك وأنا لا أعرف إن كنت تكذب

أو تتباهى بالمعرفة .. ولماذا أخدع نفسى بك ، ولا أقبل أن أخدع نفسى بأنى أعلم .. ولا أحتاج إلى غيرى !

أخبرنى لماذا أقول أشياء لا أعنيها أبدًا ، ولماذا لا أعرف كيف أقول ما أريد .. أخبرنى لماذا أنْقضُ أقوالى وأنقدها .. ولماذا أخبرك كل هذا ! لماذا أظنك تفهم عنى ما أجهله .. وأنا قد عشت عمرى لا أفهم شيئًا ولا أدرى لم .. أخبرنى لماذا لا أستطيع أن أميز إن كنت تريد أن تعرف عنى لماذا .. أم لا تريد .

أخبرنى لماذا لا أستطيع معرفة ما إذا كانت نبرتك تحمل السخرية ، وإن كانت كلماتك وأسئلتك تحملها أم لا ..

وإن كانت كلماتى وأسئلتى تحملها أم لا ..

أخبرنى لأنى أعترف بأنى لا أعلم .. أما أنت فلا تعترف .. أخبرنى أيها الرجل الكبير كما تقول أنت .. فأنا كما أقول طفلة صغيرة .. تجهل كثيرًا وتعلم قليلاً عما لم يُلقنها المعلم .

وحدى خطوت أولى خطواتى ، ووحدى انكفأت .. لكنهم أخبرونى بأنى لو طلبت أو قبلت اليد الممتدة لما وقعت ، ولبدأت أعدو قبل الحبو .. فهأنذا أطلب وأسأل وأقبل .. فأخبرنى كيف ولا يزعجك أنى عندما انكفأت انكسرت .. لا يزعجك هذا .. لكن إن أردت أن تعلل ذلك .. بأنى بدأت وحيدة ، ولهذا ، يجب أن أنتهى وحدى كما بدأت .

وضعت القلم .. ـ لمن هذا الخطاب ؟

انتفضت .. كان (محمود) يقف خلفى يقرأ ما أكتب .. مددت يدى لأخفيه بتلقائية .

ـ لقد قرأته كله .. لمن تكتبينه ؟

ـ ماذا تعنى بهذا السؤال .. ليس لأحد طبعًا .

ـ لماذا غضبت ؟ ألست إنسانة .

ـ لا .. لست كذلك .. أقصد .. أنا أكتب فقط لنفسى .

ـ أتعنين أنها دعوة مفتوحة .. لأى شخص كى يعلمك ما تسألين عنه ؟

شعرت بالاحمرار يغزو جسدى كله .. استفزتنى طريقته فى الكلام . أجبته متحفزة .

ـ ماذا تقصد بكلامك هذا ؟

استدار وجلس فى مواجهتى .

ـ لا شىء . أنا أتحدث معك لا أكثر ولا أقل .. ماما مشغولة بالطهى وبابا بالعمل .. و(ثناء) بـ (أحمد) ..

ـ ماذا فعلت فى الكلية ؟

غيرت الموضوع .. نظر لى نظرة طويلة ولم يعلق . ابتسم وقال :

ـ أرأيتِ ؟ لم يسألنى أحد هذا السؤال .. لقد قدمت الأوراق وأنتظر موافقة العميد ، ثم إدارة الجامعة . لكن الموظفين فى شئون الطلاب أخبرونى أن أنتظم عند بداية الدراسة وأن كل هذه مجرد أمور روتينية .

ـ مبارك .

أمسكت كراستى وحاولت أن أقوم .. أمسك يدى :

ـ ابقى قليلاً .

شعرت بالحرج .. عدت أجلس وأنا أفلت يدى .

ـ لم تخبرينى .. ما كل هذه الرومانسية .

ـ أى رومانسية هذه ؟

ـ ماذا كسرك ؟ لم تخبرينى .

نظرت له ببراءة وأشرت لقدمى .

ـ ألا ترى ؟ لقد وقعت .

أجابنى بابتسامة :

ـ حقًا ؟ هل تعتقدين أن سنى الغربة قد أنستنى اللغة والمعانى والإيماءات .. هل تعتقدين أنى لم أعد أفهم ؟ ثم ما كل هذا الحزن الذى تحمله كلماتك ؟!

ـ أبيه من فضلك .

ـ حسن . كما تريدين .. سأتركك أنا فى جلستك هذه لتكملى كتابة ..

ـ لقد أنهيت الكتابة بالفعل .. سأدخل لأرى ماذا أعدت خالتى .. فأنا أشعر بالجوع .

عندما جلسنا على مائدة الطعام ، بصعوبة وضعت طعامًا فى فمى .. بالى مشغول ولا شهية لدى للأكل على الإطلاق .

ـ ألا تعتقدين بأن وزنك سيزداد كثيرًا من كل هذا الأكل ؟

لم أنتبه إلى أنه يوجه الكلام لى .. كنت أفكر فى بيتى .. وفى حياتى القادمة فيه ، إذا استطعت أن أجد عملا .. سأحارب لاستلام كل مالى ، هكذا قررت .. أريد شيئًا آخر .. فقد مللت الحياة فى بيت أشعر بأنه ليس بيتى .. إنهم لطفاء معى ، ربما أكثر من اللازم .. لذلك أشعر بالاختناق كأنى مخلوقة غريبة لا أشبههم .. شعرت بـ (ثناء) تلكزنى بكوعها وهى تسألنى : ألن آكل ؟

ارتبكت .. قلت أول شىء خطر على بالى :

ـ قدمى تؤلمنى بشدة .. لا أستطيع إلا أن أفكر فى أنى سأفك الجبيرة غدًا . استأذنتهم وقمت . لا رغبة لى فى الحديث مع أحد .

* * *

أخيرًا فككت الجبيرة ، شعرت براحة نفسية كبيرة .. وكأننى نزعت طوقًا من حول رقبتى .. جاءت خالتى معى وتأكدت من الطبيب أن كل شىء على ما يرام .

ـ من أين لك بالنقود ؟ لابد أنك تكلفت الكثير .

ـ أبدًا هناك النقود التى أعطيتنى إياها ، وكذلك كان معى نقود أخرى .

ـ النقود التى أعطيتك إياها كانت لإنفاقك الشخصى .. لابد أن تأخذى بدلاً منها .

تبًا للنقود ولأمورها .. أخذت النقود وأنا أشعر كأنى أتسوّل .. متى أنهى دراستى وأعتمد على نفسى ، متى ؟ هذه السنة الباقية تبدو كعمر بأكمله ، لا أدرى متى وكيف ستمر .

ـ (هدى) انتبهى .

أفقت على صراخ خالتى وهى تشدنى من أمام سيارة ..

ـ هل جننت ؟ لم يمر على فكّك الجبس ساعة وتريدين أن نعود للمستشفى ، حالك هذه الأيام غريب .

ـ اشتقت للدراسة ..

ـ حسن . ستبدأ بعد غد .. ولا داعى لأن تأتى وأنتِ ترقدين فى المستشفى مقيدة الحركة .. أم ما رأيك ؟

عندما عدنا لم يكن زوج خالتى موجودًا .. ولا (محمود) . أخبرتنى (ثناء) بالمناقشات التى حدثت دون أن أدرى عنها شيئًا . (محمود) مصمم على شراء شقة بكل ما ادخره لينفصل بالمعيشة فيها .. ووالدته ووالده يريان أن شراء الشقة أمر حكيم ، لكن ليس ليعيش فيها بعيدًا عنهم ، لكن ليتزوج فيها .

ـ معه حق ، ما الفرق لو عاش وحده قبل الزواج أو بعده ؟

ـ غريب رأيك هذا يا (هدى) أول مرة أسمعه .

كنت أفكر فى نفسى .. الرجل يلقى معارضة ، فما بالى أنا ؟ عمومًا هو ابنهم أما أنا فلا .. وألف لا .

- هدى لم لا تكلميه وتقنعيه ؟

- أنا . ولماذا أنا دون كل الناس ؟ كما أنى مقتنعة أساسًا برأيه .

- لكن يا (هدى) أنت تعلمين أنه قادم على مرحلة صعبة .. هل تعتقدين أنه من السهل عليه العودة للدراسة بعد كل هذه السنين ، وفوق كل هذا يعيش وحده ؟

- وماذا فى ذلك .. لقد قضى كل هذه السنين وحده فى بلد غريب معتمدًا على نفسه ..

- برافو يا (هدى) ما هذه الآراء الرائعة .

وجه (محمود) حديثه لى .. لم نشعر به وهو يدخل .. كيف يدخل دون استئذان ؟ ارتبكت بشدة .

قال وكأنه قرأ ما أفكر فيه :

لقد طرقت الباب ، لكن يبدو أنكم لم تسمعونى..

- هل ستذهبين غدًا لإحضار الجدول ؟

- نعم جدولى وجدول (ثناء) لماذا ؟

- لا شىء .

فى الصباح وجدته مرتديًا ملابسه وينتظرنى .

- أرى أن ننزل معًا ونمر على كليتى لنرى الجدول .. ما رأيك ؟

لابد أن قدمك لا تزال متعبة ، و(سوسو) أخبرتنى أنك مشتاقة للذهاب للكلية . لولا ذلك كنت أحضرت أنا جميع الجداول .

- أنا كنت أستطيع معرفتها بالتليفون .

- لكنى أراك جاهزة للخروج .. هيا بنا .

ولِمَ لا ؟ حدثت نفسى .. فأنا لا أملك أى خيار آخر ..

- (هدى) هل أضايقك بحديثى معك ؟

- أبدًا ماذا أوحى إليك بهذه الفكرة ؟!

ـ لا أدرى لكنى أشعر بأنك تعاملينني .. لا أدرى كيف أصف معاملتك لى ..

بحدة قليلاً :

ـ ربما هذا هو أسلوبى .

ـ لا أصدق أن من تكتب كلامًا بهذه الرقة .. يمكن أن يكون هذا أسلوبها .

ـ هل ما كتبته رقيق ؟ لا أظن أبدًا .. إنها آخر صفة يمكنك أن تصفه بها ..

ترى ماذا يريد منى ؟ فكرت وأنا أتعجب من أسلوبه هو فى الحديث .. عندما أنهينا الجولة صمم على أن يدعونى لنشرب شيئًا .. لا مانع .. جلسنا صامتين فترة ، تركته ليتكلم لو أراد .. لكنى لن أفتح حديثًا .

ـ كنت أريد أخذ رأيك فى أمر .. هل تعتقدين أن باستطاعتى العمل والدراسة فى آن .

ـ بالطبع لا ، ليس فى هذه المرحلة الحرجة .. وأنت عائد للدراسة بعد كل هذا الانقطاع .. هل وجدت عملاً بهذه السرعة ؟

ـ بابا يقترح علىّ أن أضع النقود فى مشروع بدلاً من الشقة .

ـ فكرة ممتازة ، لكن يجب أن تتأجل ولو لسنة واحدة .. لابد أن عودتك للدراسة ستكون صعبة بما فيه الكفاية .

ـ معك حق يا (هدى) .

ـ هناك حل وسط .. احتفظ بالنقود فى البنك ولا تتعجل فى اتخاذ القرار .. ما رأيك .

ـ إنها فكرة أخرى رائعة .. لكنى كنت أود الاستقلال .

ـ جرب فترة انتقالية .

صمتت باقى الوقت .. لم أدر ما قراره النهائى ، وهو لم يخبرنى .. عدنا إلى المنزل ، وجدت عمى (صادق) هناك .. لوقت طويل لم أره .. كان علىّ أن أذهب لزيارته .

قبلنى على خدى وقال : لم تخبرينى حتى بموضوع قدمك .. أهذا كلام ؟!

- آسفة يا عمى .. أنا افتقدك بشدة .

لاحظت أنه ينظر طويلاً لـ (محمود) .. فعرفته عليه .

- (محمود) ابن خالتى .

- أهلا وسهلاً .

- أهلاً بك يا عمى .

- متى عدت من السفر ؟

- منذ يومين .

- كل هذه الفترة ولا تأتى فى إجازة !

- مشاغل .. ثم هأنذا قد أتيت لأبقى .

لم أحب لهجة عمى فى الحديث معه .. وجه كلامه لى :

- ألن تأتى لزيارتى .. أريد أن أتحدث معكِ حديثًا طويلاً .

- إن شاء الله آتى يا عمى .. فى أقرب فرصة :

- أعتقد أن أقرب فرصة هى غدًا ، أو تحبين أن تأتى معى اليوم ؟

ترى ما العاجل فى الأمر ؟ لا أدرى ، لكن نبرة صوته لم ترحنى ..

عندما غادر عمى دخلت (البلكونة) أفكر . ترى ما الأمر ؟ ما هو الأمر المهم الذى يريدنى فيه عمى .. لم أحب طريقته فى النظر لى أو لـ (محمود) .. أشعر بأن هناك شيئًا ما غريبًا فى الموضوع ، وغير طبيعى ..

سمعت صوت أغنية جميلة هادئة منبعثة من حجرة (ثناء) .. آه يا إلهى .. لا يعجبنى ما أنا فيه ويبدو أن علىّ الاستعداد لما هو أسوأ ..

* * *



٦

ذهبت لعمى .. لابد أن أذهب وأرى ما الأمر .

ـ تعالى بجانبى هنا يا (هدى) .. ابنة عمك (نادية) ستتزوج الشهر القادم .

ـ ألف مبارك يا عمى .

وسيخلو البيت علىَّ أنا والحاجة .

ترى هل يقصد ما خطر ببالى ؟ أكمل حديثه قائلاً :

ـ أنا أرى أنه يكفيك هذا فى بيت خالتك ، وأنا أولى بك الآن ، لتأتى وتملئى علينا البيت .. وها قد عاد ابن خالتك .

ترى ماذا يقصد وإلام يلمح ؟ انتهت المقابلة كما بدأت حوار من جانب واحد .. هل لى اختيار ؟ لو أن أحدًا سيخوض هذه الحرب فلن يكون أنا أبدًا .. ما الفرق بين أن أعيش فى بيت خالتى أو عمى ؟ هل

أقف فى وجهه ؟ ماذا أقول له ؟ أأقول له : إنه البيت الذى حوانى لأربع سنوات طوال .. إن السنة الآتية هى آخر سنواتى فى الكلية وأحتاج فيها للاستقرار النفسى .. هل ستختلف رؤيته للأمر .. هل يفهم ما أعنى .. لا فرق .. عدت أشعر بأنى مجرد متاع ينقل بلا أدنى اهتمام بمشاعره .. ترى هل حدّث خالتى ؟ هل رفضت ؟ هل قبلت ؟ لن أعرف حتى أعود ..

شعرت برغبة ملحة فى المرور على منزلى .. جلست على عتبة البيت أبكى .. لم أكمل أى شىء فى الحديقة ، لم أحضر أى شىء للبيت .. ترى هل أملك هذا البيت أساسًا ؟ إن عمى سيرث معى .. أعلم أنه طالما أخبرنى أنه لايريد شيئًا . لكنه ميراثه الشرعى .. حقه .. ولا لوم عليه ألا يتنازل عنه .. مالى أشعر بالحيرة والغربة ؟ بكيت شعورى الطاغى بالعجز .. بالوحدة .. شعورى بأنى لا أتحكم فى حياتى .. عندما أتم الواحدة والعشرين ماذا سيحدث ؟ أسيتركنى عمى أعيش وحدى ؟ حتى وإن ترك لى ميراثى أديره ؟

أشعر بأنى سجينة يتمى .. لماذا يتحكم الآخرون فى مسار حياتى ؟ استأذنت من خالتى فى أن أزور (ندى) فى التليفون فوافقت .. ليس لى غيرها أشكو له همى .

- لماذا لا تتزوجين ؟

- أتيتِ بما لم يأت به أحد .

- أنا لا أمزح . لم لا تتزوجين ويصبح لك بيتك وتنتهى المشكلة ؟

- وماذا تقترحين ؟ أنزل السوبر ماركت لأشترى واحدًا ؟

- (هدى) مزاحك سيئ جدًا وسخيف .

- هل أبحث عن عريس ؟ أنشر إعلانًا فى الجرائد أم أطلب يد أول شاب يقابلنى ؟ كما أنه ليس حلًا .. أن أتزوج لمجرد أن يصبح لى بيت .. وماذا لو كان إنسانًا سيئًا ؟ إن بقائى فى بيت خالتى أو انتقالى لبيت عمى أرحم من أن أفشل فى زواج أدخل فيه فقط لأحلّ مشكلة .. كما أنى مازلت صغيرة ، على أقل تقدير لم أنه دراستى .

- هل أغلقتِ كل الأبواب ؟ لا حل . هل تشعرين بالراحة ؟

- اتركينى فى همّى يا (ندى) أنا أشعر بالإهانة . بأنى قطعة أثاث لا حق لها فى إبداء رأيها .. عمى طيب وخالتى إنسانة رائعة .. وماذا بعد .. ما دورى أنا فى كل هذا ؟ الشريرة !

- قد لا يكون الأمر بهذا السوء يا (هدى) قد ترتاحين فى بيت عمك .

- إنها مسألة مبدأ لا أكثر .. مسألة أنهم لا يعطوننى الاختيار .. اذهبى لتعيشى عند خالتك ، ثم يكفى هذا . حان الوقت لتعيشى عند عمك .. غدًا يقرروا لى كل تفصيلة صغيرة فى حياتى .

- لا تعقدى المسائل بهذه الصورة . تقبليها بصدر رحب .

- أنا أشعر بالاختناق .. هل من السهل أن أعود لأغير نمط حياتى وكل ما تعودت عليه للمرة الثانية

يا (ندى) ؟! هل أتدلل إذا قلت إنى أشعر بالضيق والغضب حينما أجبر على ترك حياة اعتدتها مدة أربع سنوات ؟

وفى هذه السنة بالذات ، آخر سنة لى ؟!

- على أى حال كان لديك رغبة فى ترك بيت خالتك .

- أنت لا تفهميننى يا (ندى) .

- أرجو فقط أن تفهمى أنت نفسك ، وتعرفى ما تريدين بالتحديد .

معها حق (ندى) .. لكنى أعرف ماذا أريد ، ولكنى كذلك أعرف أنه من المستحيل تحقيقه .. أريد أن أعود لبيتى الذى ولدت وكبرت فيه .. أشعر بأن جدرانه ستكون أكثر حنوًا علىّ من الناس .. كل الناس .. لا بأس ، سنة أخرى .. وستمر .. لابد أن تمر .. وأنا ألملم كتبى ، وجدت رباعيات صلاح جاهين . فتحت إحدى صفحاتها وقرأت :

حاسب من الأحزان وحاسب لها   حاسب على رقابيك من حبلها

راح تنتهى ولا بد راح تنتهى   مش انتهت أحزان من قبلها !

عجبى ..

عجبى الحقيقى لو مرت يا أستاذ صلاح .. دخلت خالتى علىّ ونظرت لحقيبتى .

- هل أخبرك عمك ؟

أومأت برأسى وأنا مستمرة فى وضع أشيائى بالحقيبة . شعرت بالدموع فى عينى ، وجاهدت لإخفائها .

- وهل وافقتِ ؟

ابتسمت فى سخرية مُرة لنفسى ، أردت أن أسألها : وهل وافقتِ أنتِ ؟ هل حاربتِ من أجلى ؟ هل تمسكت بى ؟ بالتأكيد لا .. لم أقل شيئًا ، لم أقل لها : وهل لى رأى حتى لا أوافق !! إن الذى يوافق هو من يملك الرفض ..

- ما رأيك أنتِ يا طنط .

ارتبكتْ . لم أقصد إزعاجها . إنها سيدة رقيقة جدًا ، ما لها وللتعقيدات التى أحملها فى حياتى ؟! لماذا أطلب منها ما لن أفعله أنا لنفسى ! عمومًا معها حق ، هى لا تريد عداءات ومشاكل .. بلا داع .

أكملت عنها ، فهى لم تُجبنى على أى حال :

- إن (نادية) ابنته ستتزوج ، وسيبقى هو وزوجته وحدهما .

- لا أريد أن تعتقدى أنى تركتك .. أنت تعرفين أن مكانك هنا كأحد أبنائى .. أنتِ ابنتى يا (هدى) ..

ابتسمت لها على الرغم منى .

- شكرًا ياطنط طبعًا أنا أعرف ، هنا بيتى وهناك بيتى .

كنت أعرف أن هذا ما علىَّ قوله ، لذلك قلته .

- كَمّلكِ اللّه بعقلك يابُنيتى .

دخلت (ثناء) فتركتنا خالتى وذهبت .

- أصحيح ما سمعته ؟

- نعم .

- هل تجمعين أشياءك حقًا .

- نعم .

- لا تذهبى يا (هدى) ابقى معى ..

لم يعد بإمكانى أن أرد عليها بكلمة واحدة . افتعلت نبرة مازحة وأنا أقول :

- أرأيتِ لقد تركت لك الحجرة أنا أولاً .

- (هدى) لماذا ستذهبين ؟

ترى من منا يجب أن يسأل هذا السؤال يا (ثناء) ؟ عندما لم أجبها أضافت : لو كان عليك الذهاب فلم الاستعجال ؟

- إذا كنت سأنتقل على أى حال فالتعجيل أفضل .. كما أنى أريد المساعدة فى الإعداد لفرح (نادية) .. هذا رأى عمى ..

سكت لحظة قبل أن أضيف :

- إنه رأى خالتى كذلك .

- ماما .. ماما قالت هذا ؟

- مالك يا (ثناء) بيت عمى بيتى مثل هنا .

أجابتنى (ثناء) متعجبة :

- مثل هنا يا (هدى) ! لا فرق !!

حدثت (ثناء) فى نفسى :

أى فرق يا (ثناء) تتخيلينه ؟ ضيفة أنا فى البيتين .. لافرق إن كنت سعيدة أم تعيسة .. راضية أو غير

راضية ، المهم أنى ضيفة .. تركت الحجرة ودخلت البلكونة .. لاداعى لافتعال شجار مع (ثناء) .. وجدت (محمود) هناك . عاجلنى :

- هل هذا الأمر بسببى ؟

- ماذا تعنى ؟ ما صلتك بالأمر ؟

- لأننى عدت .

- لا .. كل ما فى الأمر أن عمى زوج كل بناته ، ويريد منى أن أذهب لأونسه ..

- ووافقت أنت بهذه السهولة ؟

آه .. الكل يسألنى عن رأيى ، وكأن لى أن أوافق أو أرفض .. أين أنتِ يا خالتى لتخبريهم كيف تم الأمر .

- (هدى) ..

نادانى (محمود) وصمت .

- نعم .

- ما رأيك فى أن نرتبط ؟

أى حديث هذا الذى تثيره الآن ؟ هل هذا وقته ؟

- أعتقد أن هذا الكلام سابق لأوانه .

ترى هل هِى شفقة منه ، وهو يرانى لا أملك من مصيرى شيئا .. صمت قليلا ليستجمع أفكاره .

- لن أعتبر هذا رفضًا .. سأعتبره تأجيلاً فقط .

لم أرد .. هل هذا وقته لأشغل بالى .. لا . ليس الزواج هو الحل .. الزواج مستقبل لحياة ، وليس حلا لمشكلة عارضة ألجأ إليه إذا أغلقت الأبواب أمامى . أما إذا انفتحت فأرفضه .. ليس هذا أسلوبى أبدًا .. إذا كنت أملك إرادتى كاملة هل كنت أقبل الزواج الآن ؟

لا أعرف أى شىء .. (محمود) ذاته .. كيف يستطيع الحكم على أنه يريد أن يتزوجنى أنا بالذات ، وهو لم يختلط بعد بالمجتمع بالقدر الكافى ؟ مازال أمامه وقت ليستقر . ماذا قال ؛ سأعتبره تأجيلا ،حسن . فليكن كذلك لنتأكد أنا وهو من حقيقة مشاعر كل منا نحو الآخر ..

أخذت حقيبتى وخرجت مع عمى .. هذا كل مالى فى الدنيا حقيبة واحدة .. نكتة سخيفة .. ماذا نأخذ معنا من هذه الدنيا .. بل قل ماذا نأخذ معنا فيها ؟

لافرق . إنها مجرد أيام أخرى أقضيها . ليست مأساة كما تقول (ندى) فلماذا أضخم الأمور ؟!

* * *



فى بيت عمى كانت حمى التجهيز للفرح فى أوجها .. ولم تكن الدراسة فى بدايتها صعبة .. لا بأس إذن فى أن أشترك وأساعد . كانت أختاها (هنا) و(نرمين) تساعدان فى كل شىء .. تم فرش منزل العروس وتجهيز فستان الفرح وملابسها ، كل شىء تم فى موعده .. عندما تم زفافها أفقت وشعرت بأن هذا الأمر شغلنى عن الإحساس بانتقالى إلى بيت عمى .. لكن الفراغ القاتل بعد انتقال (نادية) شغلته الدراسة التى كنت أهملتها إلى حد ما . وكان علىَّ أن أجتهد بصورة مضاعفة ..

بدت حياتى أكثر فراغًا بدون (ثناء) .. كنت أراها فى الكلية كثيرًا وأحيانًا كنت أرى (محمود) .. كان عمى وزوجته يُحيطانى برعايتهما ، ولعمى أسلوبه الخاص فى إبداء رأيه فى الأمور ، وكأنه يقرر أو يُعطى أوامر .. فهمت أنها طريقته وحسب .. الحقيقة أن قلبه طيب جدًا ، ولا ذنب له فى الغربة

التى أنا فيها ، وأنا أتأقلم على حياة جديدة وحجرة جديدة .. ضحكت بشدة وأنا أتذكر كم كانت تضايقنى أشياء (ثناء) .

الآن لى الحجرة وحدى ، وبإمكانى تغيير أشياء فيها ، لكنى لا أفعل .. أخذت فترة لأعتاد على مكان كل شىء ، ولأعتاد الغرف .. لأعتاد أن أتناول طعامى معهم أو أن أساعد فى إعداد الطعام والتنظيف .. لأعتاد أن آخذ مصروفى من عمى بصفة دائمة .. أشياء كثيرة تعودت عليها إلا شيئًا واحدًا هو سؤاله عن كل تفاصيل مواعيدى .. كنت أعرف أنه معتاد على ذلك مع بناته ، لكنى لم أتعود ذلك من أحد من قبل ؛ لذلك كنت أشعر بالحرج كل مرة يسألنى فيها .. متى تمر هذه السنة حتى أصبح قادرة على العمل .. أبسط شىء ألا أحتاج لمصروف .

مع انتهاء هذه السنة جزء كبير من أحلامى سيتحقق وسآخذ خطوة كبيرة ، أرجو أن تكون للأحسن ..

جاءت الامتحانات أخيرًا .. بأوقاتها العصيبة على الجميع ، وانتهت .. أتمنى أن ننجح جميعًا .. إنها أمنية خاصة جدًا لى ، لأبدأ حياتى بصورة مختلفة .. ولـ (ثناء) لتستطيع الزواج ، ولـ (محمود) .. نعم هو أيضًا يحتاج للثقة بنفسه .. أشعرته عودته للدراسة بأنه نسى كل شىء وبأنه غير كفء .. شعرت بجهده الصادق وعزمه .. المشكلة أنه أحيانًا يبدو وكأنه ملّ الأمر أو أن اليأس تملكه ، أو عدم المبالاة لا أدرى .. جميعنا يحتاج للنجاح ليدفعه للأمام ..

لم يبق وقت على عيد ميلادى أنا و(ثناء) . كان الفرق بيننا أيام قليلة ، لذلك كنا دائمًا نحتفل به معًا .. حتى أيام أمى ـ رحمها الله هى وأبى ـ استأذنت عمى فى الذهاب من الصباح لأسهم فى اعداد الحفلة .. لم يكن هو وزوجته يهتمون بمثل هذه الأمور ؛ لذلك لم يريدا أن يأتيا حتى لمجرد المشاركة .. إن كل إنسان حر فيما يريد .. فرحت عندما علمت أن خالتى قررت عقد قران (ثناء) فى نفس اليوم فى هذا الحفل ..

فى انتظار النتيجة والزفاف قبلت (ثناء) وأنا أبارك لها . كانت تبدو والفرحة تملؤها كعروس .

ـ مبارك يا (ثناء) « عقبال ما ترفعى راسنا وتنجحى » .

ـ يارب .

كانت (ثناء) قد تقبلت أمر انتقالى ، ولم تعد تكلمنى فيه ، لا أدرى هل كلمتها خالتى فى الموضوع ، أم هى تقبلت الأمر وحدها .. على أى حال ماذا تملك هى الأخرى لى ؟ أو حتى لنفسها ؟ كانت مُنقادة وراء الحب لو جاز التعبير .. كانت مشغولة بكيفية تحقيق رغبات (أحمد) ، لاتدرى كيف توفق بينها وبين رغبات والدتها ووالدها .. مسكينة يا (ثناء) .

ـ كنت ستساعديننى فى هذا كله لو كنت موجودة .

ـ وهأنذا . وسأساعدك فى كل تفصيلة ..

قاطعتنى :

ـ لا أقصد هذا وأنتِ تعلمين .

- الموضوع لن يزيد على شهر وتزفين ، لاداعى للاستعجال ، أم أنك لاتنوين النجاح .

- لكن يا (هدى) (أحمد) ..

قاطعتها :

- مستعجل .. لماذا لايذهب لوالدك ويقول له هذا بنفسه ؟

.. لأنه يعلم أن كلامه غير معقول .

- أنتِ دائمًا ضده برغم أنه يعزك كثيرًا .

- أنا لست ضده يا (سوسو) كل ما فى الأمر أنى أريد أن توقفى اندفاعه قليلاً ، ولا تنساقى وراءه دون تفكير .

- لافرق .. عمومًا ما أرادوه هو ما حدث وسيحدث .

- غدًا تصبحين فى بيت زوجك ، وما يريده هو ، هو ما سيحدث .

- متى يصبح هذا حقيقيًا ؟

- قريبًا يا آنسه ، أم نقول يا مدام ؟

- يسمع منك ربنا .

لا فائدة فى (ثناء) ، وهذا أحلى ما فيها .. هى و(أحمد) لائقان ومناسبان لبعضهما ..

قام أصدقاء (أحمد) بعمل زفة كبيرة جدًا .. لم يتركوا فيها شيئًا للفرح .. شعرت بأن البيت سيسقط من الضجيج والحماسة .. بعض زميلاتى وكل صديقات (ثناء) وأصدقاء (محمود) سواء من القدامى أو من تعرّفهم أخيرًا .. وكل من دعاهم (أحمد) .. كان البيت يبدو وكأنه سينفجر .. وددت لو أن بإمكانى أن أبيت الليلة عند خالتى لكنى لم أخبر عمى .. لذلك علىّ أن أعود .. أصر (محمود) على توصيلى وأصرت خالتى كذلك .. على أى حال الوقت متأخر فعلاً .. طلبت منه أن يُركبنى (تاكسيًا) ويتركنى ، لكنه أصر على توصيلى .

- كيف سأطمئن عليكِ إذا تركتك فى (تاكسى) فى مثل هذه الساعة ؟ فى (التاكسى) نظر لى .. لم يتكلم .. شعرت بالارتباك ، وفكرت أن أفتح أنا موضوعًا

للحديث ، لكنى لم أستطع .. فى الفرح عندما قال عقبى لكِ ابتسمت ولم أجب .. لماذا طلب منى الزواج أصلاً ؟ لقد خلق بيننا نوعًا من التوتر والارتباك .. وصلنا ، أراد أن ينزل ليصعد معى ، أخبرته أنه لاداعى وقلت :

ـ من الأفضل أن تعود فى نفس التاكسى ، قد لاتجد غيره فى مثل هذا الوقت .

نظر لى ثانيًا نظرة طويلة .

ـ النتيجة ستظهر قريبًا .

انطلق التاكسى به .. فكرت وأنا أصعد السلم .. هل هو ميعاد بيننا يا (محمود) ؟ أشياء كثيرة أريد أن أنجزها فى هذه الإجازة ..

سألنى عمى : من أوصلنى فأخبرته أنه (محمود) .

ـ ولم لم يصعد ؟

ـ أخبرته أنه من الأفضل أن يعود فى نفس (التاكسى) ، فقد لايجد غيره ليعود به لو نزل .. كما أن الوقت متأخر ، ولم أود إقلاقكم .

ـ معك حق يا (هدى) .

لم يكن صوته يدل على ما قال .. لا بأس ، لقد عرفت أنها طريقة عمى فى الكلام ، ليخبرنى أنه لايتفق معى بأسلوب مهذب ورقيق ..

كنت متعبة بشدة من مجهود الاحتفال ..

وهكذا .. دون أن أشعر ، أتممت ٢١ سنة .

لا أصدق !! لم أعد قاصرًا .. أنا رشيدة .. بلغت سن الرشد أخيرًا .. وبعد قليل أحصل على البكالوريوس ويكتمل الأمر : السن والشهادة .

ويكون من حقى حرية أكبر فى التصرف .. فقط أرجو أن تأتى النتيجة كما أشتهى .

* * *

جاءت (ثناء) تزورنى .

ـ ما أخبارك وأخبار (أحمد) ؟

ـ بخير .. المهم أخبارك أنتِ .

ـ الحمد للَّه .. أنتظر النتيجة ويدى على قلبى .

ـ أنتِ ! إن نجاحك مضمون بإذن اللَّه ، الدور علىَّ أنا .. أنا خائفة لحد الموت .. على فكرة (أحمد) يسلم عليك وأحضر لك عريسًا .

ـ ما المناسبة .. هل يعمل خاطبة الآن !

ـ ألم تكفّى عن مزاحك الثقيل ؟! إنه أحد أصدقائه رآك فى عقد القران وأعجب بك .

ـ هكذا .. بلا مقدمات أعجب بى ويريد أن يتزوجنى ؟!

ـ لا يا عبقرية بمقدمات طبعًا .. سأل (أحمد) عنك ثم هو يريد رؤيتك والحديث معك ، قبل أن يتقدم لطلب يدك رسميًا .

ـ آسفة .. لا أريد .

ـ اسمعى باقى الكلام .. لديه شقة .

قاطعتها قائلة :

ـ ووظيفة ميرى ومربوط على الدرجة الثالثة و ...

قاطعتنى غاضبة :

ـ (هدى) كفى مزاحًا .. لماذا لا تأخذى الأمر بجدية ؟

ـ أرى أنى أحتاج لاستقرار نفسى فى البداية قبل أن أفكر فى خطوة الزواج .

ـ وهل أنتِ غير مستقرة نفسيًا ؟

ـ (سوسو) .. أنا أريد تحديد خطوط حياتى أولاً ، قبل أن أدخل فى مشروع زواج .. هذا ليس وقته .

ـ ومتى سيأتى وقته ؟

ـ بعد أن أتخرج وأجد وظيفة .. وأشياء أخرى كثيرة .

ـ باختصار بعد مائة عام .

ـ ليس كل الناس متعجلين على الزواج مثلك أنتِ و(أحمد) .

ـ باختصار نقول للعريس : مر علينا غدًا يا سيد .

ـ لماذا يمر علينا نحن ؟ يمر على غيرنا أحسن .. تحبى أحضر له عروسة ؟

- (هدى) ، لو لم تكفى عن مضايقتى ، لن أسير لكِ فى موضوع أبدًا .

- أنا لا أضايقك يا (سوسو) . فقط أنا أريد التمهل ..

- تتكلمين مثل ماما بالضبط .

- هل أخذت رأيها فى هذا الموضوع ؟!

- نعم .. لم تعط رأيًا قاطعًا ، لم تشجع ولم ترفض .. يبدو أنها كانت تعرف رأيك .. حتى (محمود) كان مثلها .

سألتها مستنكرة :

- هل حدثته هو الآخر فى الأمر ؟

- (أحمد) فتح الموضوع وهم جميعًا معنا .

- لابد من الإحراج العلنى ؟

- ما وجه الإحراج فى عريس يريد التقدم لكِ .. هل تعتقدين أنكِ طفلة .. أنتِ عروس ..

- بل أنتِ العروس .

- ذكرتينى ، بإذنك . (أحمد) ينتظرنى الآن .

- لم لم تجعليه يأتى ليأخذك ؟

- لاداعى للإحراج ..

قبلتنى وتركتنى مسرعة .. فكرت ، هل معى حق .. أم أن على أن أقبل وأنهى هذا الشتات ؟ لا أعلم ، كل ما أعرف أن هذا ما أراه صوابًا الآن ، وربما يتغير رأيى بعد ذلك ، لكن لا بأس .. أنا لست متعجلة .. بعد أيام نادانى عمى .. جلست أمامه صامتة . ترى فيم يُريدنى ؟

- (هدى) .. لقد فكرت وتساءلت هل أكلمك فى هذا يوم إتمامك الواحد والعشرين ، أم أنتظر حتى تظهر نتيجة البكالوريوس ؟! وبرغم أنى فضلت الانتظار لكنى لم أستطع .. أريد أن أسلمك ميراثك .. لقد فضلت أن أحتفظ لكِ بأصولك كما هى .. والأموال السائلة كأقل ما يمكن .. أنتِ تعرفين يا بنتى أنى غير مُحتاج ..

لذلك سأترك لك نصيبى وسأبيعه لكِ حتى لاتواجهك أى مشاكل فى المستقبل .. طلب واحد لى عندك .. أن تراعى الله فى هذه الأموال ولا تبدديها .

.. لا أدرى لم بكيت ! لم يكن هذا ما أريد ، ألم أكن غاضبة لأن أحدًا لم يفاتحنى فى الأمر ؟ أفاقنى عمى من شرودى .

ـ إنك يا (هدى) كل ما تبقى لى من ذكرى المرحوم أخى .. وأريد منك أن تتمهلى فى اتخاذ أى قرار يخص أموالك ومستقبلك .

انعقد لسانى ، لم أعرف حتى كيف أشكره .. ظلت الدموع تسيل من عينى .. ربَت على كتفى وتركنى وخرج .. كنت سعيدة وحزينة فى نفس الوقت .

بعد أيام ظهرت النتيجة ونجحت ، لم أصدق أنى أنهيت الدراسة أخيرًا .. (ثناء) خرجت بمادتين وستمتحن فى الدور الثانى ، وبإذن الله ستتخطاهما .. على أى حال شهر واحد لن يفرق كثيرًا .. أما (محمود) وضد كل التوقعات فقد نجح .. عندما

تبادلنا التهانى نظر لى نظرة جعلت الاحمرار يغزو وجهى ، وقال بكلمات بدت تحمل أكثر من معنى :

ـ هانت . لم يبق سوى سنة واحدة وأحصل أنا الآخر على البكالوريوس .

أخبرتنى (ندى) أنها ستقدم على أرض هى و(نبيل) زميلنا ليستصلحاها ويبدآ فيها حياتهما .

ـ لم أعرف أنكم تفكرون فى الزواج .

ـ ولا نحن أيضًا .

ـ عمومًا ألف مبارك .

ـ ما رأيك فى أن تقدمى أنت أيضًا على قطعة أرض ؟

.. ولِمَ لا ؟ هكذا فكرت .. سألتها متى ستقدمون ؟

ـ بمجرد أن نستخرج الشهادة .

ـ حسن .. أنا معكم .

كل شىء طيب معى .. معاملة عمى وزوجته .. أشعرانى بأننى أنا صاحبة البيت ولست ضيفة .. أنى ابنتهما .. التخرج .. الأموال التى سيضعها عمى تحت تصرفى .. إذن أين المشكلة ؟ المشكلة فىّ أنا .. أنا وإحساسى الفظيع بعدم الانتماء هو المشكلة .. إحساسى أنى غريبة ، شعورى بأنى أريد أن أنفصل وأعيش وحدى .. بالتأكيد سأزورهم ويزوروننى ، لكنى لا أريد أن أدخل فى حياتهم ، أو أن أدخلهم فى تفاصيل حياتى .. هل هذا نوع من الأنانية أو نكران الجميل ؟! أم أن هذا حقى ؟

بدأت فى البحث عن عمل بجدية .. أريد أن أكتسب بسرعة خبرة فى الأعمال .. عارض عمى قليلاً فى البداية أنى قبلت عملاً بمرتب صغير لوقت دوام طويل ، لكنى أصررت خاصة أن العمل كان فى تخصصى .. كان موقفى واضحًا ، العمل بداية الاعتماد على النفس ، وإذا كان يريد منى أن أكون حريصة على مالى ، فيجب أن أتعلم كيف أديره ، وأن أعرف قيمة النقود والمشاق التى تكتنف الحصول عليها .

جاء (ماجد) إلى عمى .. يبدو أنه من النوع المثابر جدًا .. بالتأكيد (ثناء) أبلغت (أحمد) برأيى .. لكن ترى هل أبلغه (أحمد) .. لن أندهش لو أن (أحمد) من شجعه على التقدم برغم اعتراضى .. فـ (أحمد) له نمط تفكير غريب هو أن ليس كل إنسان يعرف مصلحته ، وأن قليلاً من الإصرار والضغط يحققان الكثير .. هذا هو رأيه هو ، أما أنا فرأيى مختلف تمامًا ..

رأيى ثابت لا يتغير لا بإلحاح ولا بضغط .. ولا بأمر واقع .. أحرجنى قدومه .. وسؤال عمى عن رأيى فى الأمر .. المشكلة أنى أرفض المبدأ ، وهذا ما لم يفهمه عمى أو يتقبله .. يسألنى عن اعتراضى على العريس .. وأنا أتحدث عن أسلوب العريس فى التقدم .

- لا أستطيع فهم منطقك .. لقد زوجت ثلاث بنات قبلك ، ولم أسمع مثل ما تقولينه .

- لكن يا عمى أنا لا أفكر فى الزواج الآن .

- ولِمَ لا ؟

- ولماذا التعجل ؟

خطر ببالى تساؤل .. هل يريد التخلص من العبء الملقى عليه برعايتى ؟

هل يريد أن يرفع يده من تحمل مسئوليتى ؟ على أى حال وللحق فقد تعجل فى تزويج بناته ذاتهن فكيف بى .. أصد عمى على أن أرى (ماجد) ورأيته .. مثالى بلا عيوب .. لم يكن هناك شىء أنتقده حتى أنفه ..

إذن ما الحل ؟

* * *





٨

ذهبت لزيارة خالتى لأستشيرها فى الأمر .. أول مرة أواجه ضغطًا لجعلى أفعل شيئًا دون إرادتى .. لكن كيف ؟ ألم يأخذنى عمى لأعيش معه دون أخذ رأيى ؟ لكن هذا شىء آخر .. اعتقدت أنه من الكافى أن أخبر عمى أنى لا أوافق على المبدأ فيستجيب ..

شعرت بالغضب الشديد من (أحمد) ومن صديقه (ماجد) .. فليحاول (أحمد) التحكم فى حياة (ثناء) ما شاء ، لكن حياتى أنا شىء آخر ..

- وما الحل يا طنط ؟

- لا أدرى يا (هدى) .. عمك برغم طيبته صلب الرأى ، ولابد أن تقتنعيه بأسباب توافق تفكيره لرفض العريس .

- لقد فكرت فى حل أسهل .. لأنه لايبدو على عمى أى ميل لأن يقتنع سوى بما يراه هو صالحًا لى .

- وما هذا الحل ؟

- سأكلم (ماجد) هذا أو أجعل (أحمد) يكلمه .. إذا كان لم يبلغه رفضى من قبل ، أو أنه تغاضى عنه لسبب ما ؟ فأعتقد أنه لن يستطيع فعل ذلك هذه المرة وقد رآنى ورأيته .. أنا لا أعرف كيف يفكر ، ما هو منطقه الذى يستند إليه !!

- (هدى) لا تتحاملى على الشاب ، لابد أن نواياه طيبة ..

- لهذا قالوا : إن الطريق للجحيم مفروش بالنوايا الطيبة .

- لعل (ثناء) أخبرتك أنى لم أوافق فى البداية خصوصًا أنه جاهز ومتعجل على الزواج فى أسرع وقت .

- نعم أخبرتنى .

- لكن هذا لايعنى أن نرفض وبتحامل ودون أى تفكير.

- أنا لا أرفضه هو بالذات يا خالتى . أنا أرفض مجرد التفكير فى الموضوع الآن .. هل أحدث (ثناء) لتكلم (أحمد) أم أتصل بـ (ماجد) مباشرة ؟

- لا هذا ولا ذاك .. اتركى لى هذا الموضوع .

.. صمتت قليلاً ثم أضافت .

- لكن ماذا لو صمم على إكمال الموضوع مع عمك ؟

- فى هذه الحالة يكون إنسانًا معدوم الكرامة ، وسأقوم بعمل مواجهة صريحة مع عمى ومعه .

- اهدئى يا (هدى) ألا ترين أنك تبالغين فى الانفعال ؟

- ربما يا طنط .. أنا فقط أود أن ينتهى هذا الأمر دون أن أجبر على فعل شىء لا أريده .

- لا تخافى . لا يمكن لأحد أن يجبرك على الزواج دون أرادتك .

- هنا ما أتمناه .

عدت إلى بيت عمى دون أن أرى (محمود) أو (ثناء) كانا فى الخارج .. (ندى) تركت لى خبرًا .. سعدت لأننا أخيرًا سنبدأ فى تقديم الأوراق والطلبات للحصول على الأرض .. شىء مفيد يشغل تفكيرى .

دخلت فى إجراءات معقدة .. عدت فى أحد الأيام وأنا أكاد أُجن من تعقيد المعاملات فعاجلنى عمى :

ـ ماذا ستجنين من كل هذا ؟

تظاهرت بأنى لم أفهم ما يقصده .

ـ خمسة فدادين أرضًا ؟!

ـ وماذا ستفعلين بها ؟

ـ سأطبق كل ما درسته وسأرعاها .

ـ مثل هذه الأمور للرجال يا (هدى) وليس للفتيات .

كان يتكلم بلهجة شديدة .. كنت أعرف أنه لايقصد . بالرغم من هذا شعرت بالغضب يفور فى داخلى .. لكنى هدأت نفسى .

ـ لكنى يا عمى درست مثلى مثلهم ، ونجحت وتخرجت .

ـ وتنوين المبيت فى الخلاء .

ـ لا يا عمى ، لقد قررت أن أستخدم النقود فى شيئين .. بدايات الاستصلاح وشراء عربة صغيرة مستعملة لأذهب وأعود بها .. إن لم أكن سأركب سيارات الأجرة المسافرة على الطريق الرئيسى .

ـ مثل هذه الطرق مليئة بالمخاطر يا بنتى .

ـ وأنا لن أكون وحدى ، (ندى) صديقتى وزميلنا (نبيل) سيقومان بتجهيز الأرض حتى تصبح مناسبة لينتقلا إليها بمجرد أن يتزوجا .

ـ أنا لا أعرف ما بعقلك يا (هدى) ! لقد ربيت ثلاث فتيات ، لم أناقش إحداهن فى أمرٍ كل تلك المناقشات .

أردت أن أخبره أن هذا لأنهن تربين على طبعك من البداية وشكلتهم بطريقة تفكيرك ... هل كنت أفعل شيئًا غريبًا حقًا .. أعلم أن معظم من قدم على الأرض رجال ، وأن الفتيات اللاتى قدمن سيساعدهن أخ لهن أو أبوهن . أو سيقوم بزراعتها لهن أشخاص آخرون .. لكن هذا لايمنع من وجود فتاة مثلى

تريد أن تكافح من أجل مستقبلها .. غضب عمى منى كثيرًا ، لكنه سكت . فـ (ماجد) لم يأت مرة ثانية ومعنى هذا أنه لا يملك البديل الذى يود أن يقدمه لى .. تزوجى واقبعى فى البيت ، والبنت فى النهاية لبيت زوجها .. حسن أنا لا أرفض الفكرة فى حد ذاتها ، لكن فى الوقت المناسب ، ومع الشخص المناسب فقط .. عندما أقابل هذا الشخص الذى يشعرنى بأن التخلى عن كل هذا لا يعنى الكثير مقارنًا بالحياة معه ، أو ربما عندما أقابل الشخص الذى يرى أن تحقيق أحلامى هو بحد ذاته جزء لاينفصل عن حياتنا المشتركة ، وأن أحلامى لها أهمية أحلامه .

أو عندما أقابل من له نفس أحلامى ومشروعاتى .. لا أدرى ، لقد دخلت فى دوامة أكبر .. بماذا غمغم عمى فى نهاية النقاش « هذا إن استطعتِ أخذهم » شعرت أن معه حقًا وأنى أبنى آمالاً عريضة على لاشىء ..

* * *

ـ لا فائدة يا (ندى) أنا انتهيت .

ـ لكن يا (هدى) نحن فى بداية المشوار .

ـ هذا بالضبط سبب يأسى .

ـ حذار يا (هدى) من مثل هذا الكلام أمام (نبيل) فقد بدأ فى حساب أننا لن نستطيع الزواج إلا بعد خمسين عامًا ودخل فى يأس فظيع .

ـ وأنا مثله ..

ـ لكنى لست أوافقكما بدليل من أخذوا الأراضى قبلنا .

ـ أنا لم أعد أدرى شيئًا .. كما أن استصلاح الأرض سيحتاج الكثير من النقود .

ـ ليس لهذه الدرجة فسنتلقى مساعدات فى البداية .. هناك جمعيات متخصصة .

ـ هل قدم آخرون من دفعتنا معنا ؟

ـ (هشام) و(على) و(محمد سعيد) ، فقط على ما أعتقد .

ـ لقد تعبت ولا أستطيع حتى أن أعترف بذلك :

ـ لقد وقعتِ سريعًا ياباشمهندسة !!

ـ أنا لا باشمهندسة ولا مهندسة ، حتى أنا أريد أن أنتهى من كل هذه المشاكل .

ـ ها هو ذا (نبيل) قد جاء .

اشارت (ندى) بيدها ثم سألته متلهفة :

ـ ما الأخبار ؟

ـ هناك أمل بنسبة ....

أكملتُ له :

ـ واحد فى المائة ..

ـ من أخبرك يا (هدى) .. سألنى فى سخرية يائسة .

ابتسمت له متألمة .. استكمل حديثه :

ـ هناك أمل بنسبة واحد فى المائة أننا سنحصل على هذه الأرض فى حدود الخمس سنوات القادمة .

صرخت (ندى) فينا :

ـ لا أريد أن أسمع نبرة التشاؤم هذه مرة أخرى .

أجابها (نبيل) :

ـ إنك الوحيدة المتفائلة يا (ندى) .

ـ لاحل أمامنا سوى التفاؤل .

ـ لقد أخبرنى الرجل بطريقة مهذبة أن علينا أن نجلس فى منازلنا فى انتظار الفرج أن يمر .. أقصد أن يردوا علينا .. الموظفون يسخرون منا ومن اعتقادنا أننا سنفعل شيئًا بعد أخذ الأرض .

أكملت له :

ـ هذا إن استطعنا أخذها .

ـ معك حق إن استطعنا .. أتعرفين ؟ لقد ذهبت للتقديم على قرض من قروض الشباب .. مطلوب مكان للحصول على القرض . اكتفيت بهذه الكلمات ولم أسأله : من أين لى بمكان المشروع .

أجبته مصدقة على كلامه .

- نعم يبدو أنه لا فائدة .

صرخت (ندى) :

- إذا لم تكفوا عن مثل هذا الكلام فلن أحدثكم مرة ثانية .

- لا بأس يا (ندى) ، أنا سأذهب لأجلس فى البيت منتظرة الرد .. كما قال الموظفون ، وأنصحكما بأن تفعلا مثلى .. لا أقصد تجلسا فى البيت ، لكن اذهبا للبحث عن عمل ولو مؤقتا .. فقال (نبيل) :

- معك حق يا (هدى) يجب أن نبحث عن عمل ولا نعلق كل آمالنا على أمر واحد .

فقالت (ندى) :

- لا اعتراض لدى على ذلك .

ودعتهم قائلة :

- سأذهب أنا وأترككم .. سأتصل بكِ يا (ندى) .. مع السلامة .. وبالتوفيق .

* * *

ذهبت لزيارة خالتى فعاتبتنى .

- هل هذا كلام ، هكذا تنسيننا .

- لم أنسكم ، كل ما فى الأمر أنى كنت مشغولة فى إنهاء أوراق التقديم على الأرض .

جاءت (ثناء) لتسلم علىّ قائلة :

- ألا تباركين لى ؟

- نجحت ألف مبارك لم لم تخبرينى ؟

- وهل فكرت أنت فى السؤال ؟

- معك حق .. سامحينى .. ومتى الفرح ؟

- اسألى خالتك .

- ما الأمر ؟

وجهت السؤال لخالتى ، فسارعت (ثناء) بالرد :

- الأمر أنك منذ تركتِ البيت والجميع انفرد بى .. لا أحد يدافع عنى أو يهتم بى .

ثم انخرطت فى البكاء .. قمت وأحطتها بيدى :

ـ ماذا هناك يا طنط .

ـ كل هذا لأنى أريدها أن تتزوج الشهر القادم .. أقامت الدنيا ولم تقعدها .

أصبحنا جميعًا ضدها .. لأن (محمود) أخبرها أن التمهل أحسن وكذلك كان رأى عمك فهى .. لقد دللناها أكثر من اللازم بل لقد أفسدناها .. قامت خالتى وتركتنا .

ـ (ثناء) . إنه (أحمد) أليس كذلك ؟

ـ لايفهم لم التأجيل .. لقد أخبروه أنه بمجرد نجاحى سنقوم بعمل الفرح .. كذلك بإمكانه حجز القاعة الآن .

ـ وأين رأيك أنتِ يا (ثناء) .

ـ لم أعد أدرى شيئًا ، لا أعرف كيف أرضيه وأرضيهم .. ثم لاتنسى أنهم وافقوا على عقد القران بالفعل ..

ـ فى هذه النقطة معك حق .. امسحى دموعك .. سأذهب لأحدث خالتى .

خرجت أبحث عنها ، كانت تجلس فى الشرفة بادرتنى :

ـ لاتدافعى عنها هذه المرة .

ـ ياطنط اسمحى لى ، لقد وافقتم وعقدتم القران .. هل سترفضونه بعد ذلك ؟

ـ ربما كان هذا أفضل .. فقد كانت الموافقة عليه من البداية خطأ جسيمًا .

ـ لكن (ثناء) تحبه .

ـ إنها لا تعرف شيئًا ولا تعرف كم ستتعذب معه .

ـ ربما لايحدث .. فهى توافقه على كل شىء .

ـ إذن سيلغى شخصيتها تماماً .

ـ مازلت لا أفهم ما فائدة هذا الشهر التأجيل .

ـ إنه ليس تأجيلاً .. إنه الموعد المحدد ..

ـ لكن ياطنط (ثناء) حزينة وأكيد (أحمد) يضغط عليها .

ـ وهذا ما لا يُعجبنى فى الأمر .

دخل (محمود) ـ أهلاً يا (هدى) وجهك ولا القمر .

ـ أهلاً يا (محمود) .. لماذا لم توافق على زفاف (ثناء) ؟

عاجلته بالسؤال .

ـ أنا لم أوافق ؟ لم يحدث .

ـ لكن (ثناء) تقول ..

قاطعنى وهو يستند إلى حافة الشرفة :

ـ فلتقل (ثناء) ما تريد . لقد أصاب عقلها خلل ما بينما أنا مسافر .. و(أحمد) هذا أسلوبه غريب .. إنه يسيطر عليها بطريقة لا تصدق .

ـ أنا معك فى كل هذا لكنها .. أنت تعرف ما أعنى .. إنها .. ارتبكت بشدة قبل أن أكمل .

ـ إنها متعلقة به .. جدًا .. كما أنهم فى حكم المتزوجين . ومادام الزفاف سيتم فى النهاية ولا تنوون إلغاءه فلم لا يتم الآن ؟

ـ لقد ذكرت رأيى لا أكثر .. الرأى النهائى لبابا وماما .. أنا هنا مجرد ضيف .

ردت خالتى قبل أن أتكلم :

ـ أى ضيف يا حبيبى .. إنك أخوها الكبير ، ورأيك له أولوية .

ـ لا أدرى يا ماما ، ربما مع (هدى) حق ، إلا إذا كنا سنلغى الزفاف .

سأفكر فى الأمر .. كل هذا من أجل أسبوعين أو ثلاثة .

سارت خالتى تحدث نفسها .. جلس (محمود) فى مواجهتى .

ـ وأنتِ كيف حالك ؟

ـ أوراق وتوقيعات وإجراءات .

ـ من أجل الأرض ؟

ـ نعم .

ـ وفقك الله .

ـ وأنت كيف حالك ؟

ـ أوراق ومذاكرة وكتب وامتحانات .

قالها مقلدًا لى .

ـ أتمنى لك التوفيق .

ـ حقًا

ـ طبعًا يا (محمود) .

ـ بإذن الله إذا نجحت هذه السنة سأكون قد أنهيت الدراسة وأحصل على البكالوريوس مثلك ، ثم ..

سكت ، فتعجلته متلهفة :

ـ ثم ماذا ؟

ـ قد أفكر فى الحصول على أرض مثلك .

هل شعرت بخيبة أمل بدت على وجهى .. أكمل (محمود) وهو يراقب رد فعلى :

ـ أو ما رأيك ، أختصر الطريق والتعقيدات الإدارية وأشاركك ؟

ـ ليتك تفعل .

ـ حقًا .. هل تقبلين مشاركتى ؟

ـ ولِمَ لا ؟ أنا سأحتاج كل مساعدة ممكنة .

ـ اتفقنا .. اجتهدى فى الحصول على الأرض .. وسأجتهد أنا لأنهى الدراسة .

ابتسمت فى سعادة .. ثم وقفت ..

ـ علىّ أن أذهب ، سأدخل لأسلم على (ثناء) .

ـ سأوصلك .

ـ لا . سأذهب وحدى .. لاداعى لأن تتعب نفسك ، لقد دخلت من فورك .

نظر فى ساعته ، فقلت معه ـ فى مثل هذه الساعة .

ـ لا فائدة فيك يا (هدى) ألم تكفى عن المشاغبة ؟

ـ لا .. كففت منذ زمن .. أنا فقط أتذكر كيف اعتدت مضايقتك .

ـ آه لو أن كل المضايقات فى الدنيا كمضايقاتك تلك !

ـ عندها ماذا سيحدث ؟

ـ سأكون أسعد إنسان فى الدنيا .

قمت وأنا أشعر بالحرج .. غيرت الموضوع .

ـ هل أخبر (ثناء) بأنكم وافقتم ؟

ـ اسألى خالتك .

ـ حسن سأفعل .

اتجهت للباب .. استوقفنى :

ـ من الأفضل أن تتركيها الآن .. على أى حال أنا أعتقد أنها وافقت بالفعل .. فلا داعى للحديث الآن .

حاولت أن أذهب لكنه عاد يستوقفنى :

ـ ما آخر أخبار كتاباتك ؟

شعرت بالارتباك .. وأطرقت رأسى :

ـ أنا .. لا أدرى .

سألنى متعجبًا :

ـ كيف !؟

ـ أقصد أنى أكتب أحيانًا .

ـ كنت أريد أن أطلب شيئًا منك .

ـ ماذا ؟

ـ أريد هذا الخطاب الذى قرأته هذا اليوم .. أريد نسخة لأحتفظ بها .

أجبته مترددة :

ـ ولكن .. حسن .. إن شاء الله .

أفلتّ منه وأسرعت لأخرج و أنا أشعر بأن جسدى مشتعل .

* * *



٩

لا أصدق .. انتفض قلبى وأنا أفض الخطاب .. برغم أنى كنت قد فقدت الأمل تقريبًا .. حصلت على الأرض .. لا أستطيع التصديق .

اتصلت (بندى) .

ـ وصلكم الخطاب ؟

ـ أى خطاب .

ـ الموافقة على تخصيص الأرض .

ـ ماذا ؟ حقًا .. هل جاءتك الموافقه فعلاً ؟

أجبتها مستغربة :

ـ نعم .. ألم يصلك الرد بعد ؟

ـ لا .

أجبتَها مطمئنة :

ـ بالتأكيد سيصلك فى خلال يوم أو اثنين على الأكثر .

ـ بإذن اللّه .. المهم متى ستذهبين ؟

ـ غدًا على الفور .. سآخذ إذنًا من العمل وأذهب ..

ـ وحدك ؟

ـ ولِمَ لا !

ـ لولا أن لدىّ عمل ..

قاطعتُها :

ـ بدون أن تقولى يا (ندى) أعرف أنك كنت ستذهبين معى دون أن أطلب .. لكنى أعلم ظروف العمل وكم هى صعبة .

أغلقت مع (ندى) وقد خفَت سعادتى قليلاً .. لكن بإذن اللّه يأتيها الخطاب بسرعة ونبدأ العمل معًا .. أخبرت عمى وزوجته ..

شعرت بأنهما سعدا لذلك جدًا .. تعجبت .. عمى سعيد لنجاحى فى الحصول على الأرض !! يبدو أنى لم أفهمه تمامًا بعد .. اتصلت لأخبر خالتى و(محمود) . هنآنى .

.. سألنى (محمود) :

ـ أستذهبين وحدك ؟

أجبته مبتسمة :

ـ ما الأمر ؟ أنت و(ندى) علىّ .

يعجبنى تفكير (ندى) .

ـ احذر .. إنها مخطوبة .

ـ أمرى إلى اللَّه .. أبحث عن أخرى غير مخطوبة .

تسارعت دقات قلبى ولم أردّ فأكمل (محمود)

ـ تحبين أن أذهب معك ؟

ـ ليتك تفعل ..

استدركت :

ـ أقصد أننا شركاء ، أليس كذلك ؟

ـ طبعًا يا باشمهندسة .

ـ لكن ألن أعطلك عن العمل فى مشروع التخرج ؟

ـ لن يفرق يوم واحد .. ثم إنك لا تعطلينى أبدًا .

طريقـة نطقه للمقطع الأخير أرسلت الرجفة إلـى أعماقى .. تغاضيت عن كلامه .

ـ حسن . غدًا فى التاسعة صباحًا أمام الهيئة .

ـ ولِمَ لا أمر عليك ؟

لا أريده أن يفعل ، أشعر بأن عمى لن يرحب بـه .. لكن أليس من الأفضل أن يـأخذنى مـن المنزل ؟ لـم أعرف ماذا أقول .. و(محمـود) على الطـرف الآخر ينتظر الرد .

ـ سأخبرك شيئًا ، أنت الأقرب سأمر أنا عليـك لنختصر الوقت . لتكن الثامنة والنصف .. اتفقنا !

أملت ألا يشعر بمحاولة التهرب من رد واضح .

ـ كمـا تحبيـن يا (هـدى) . كمـا تحبيـن .. مع السلامة .

شعرت بالغضب فى كلماته .

أغلقت السماعة .. وأنا أفكر .. لم أرد إغضابه .. لكنى لا أعرف من أرضى ، يبدو أنى أصبحت كـ (ثناء) .

عندما استيقظت فى الصباح الباكر ، قد نسيت كل شىء .. لا أتذكر سوى أنى نجحت فى الحصول على الأرض .. خرجت باكرًا ومررت على العمل وحصلت على إذن ثم ذهبت إلى منزل خالتى .

ـ ثمانية ونصف بالدقيقة .

ـ طبعًا هذه إحدى مميزات أصحاب الأراضى كما تعلم .

ـ انتظرى حتى تحصلى عليها فعلاً .

أول الغيث قطرة ، وأنا معى القطرة ها هى ذى .

أخرجت الخطاب ولوحت به .

ـ حسن . هيا بنا كى لا نتأخر على موعد الغيث .. أقصد الأرض .

ونحن فى التاكسى نظر لى (محمود) فسألته :

ـ ماذا !؟

ـ لا شىء .

ـ حقًا .. ماذا هناك ؟

ـ أول مرة أراك تبتسمين ، وأشعر بأنك سعيدة حقًا ومن قلبك .

ـ أنا أيضًا أشعر بذلك .

خاب أملى بمجرد أن رأيت وجوه الموظفين غير المشجعة وكلماتهم التى تزرع اليأس فى أكثر القلوب أملاً .. مازال الطريق أمامك طويلاً .. هناك إجراءات وتصاريح وموافقات .. ليس قبل ٦ أشهر أخرى .. إن لم يكن عامًا .

ـ أتحبين أن أوصلك للبيت ؟

ـ لا . سأذهب للعمل .. لا داعى لأن توصلنى .. لقد أخذت إذنًا ساعتين فقط .

ـ أليس من الأفضل أن تعودى للمنزل ؟

ـ لا .. لا تقلق علىّ . لا شىء جديدًا فى هذا .. كما أن ٦ شهور أخرى لا شىء .

على أى حال أنا لم أصدق من البداية أنى حصلت على الأرض .

صمم على توصيلى .. لم أكن فى حال تسمح بالمعارضة .

ـ لا تفقدى الأمل سريعًا .. مازال العمر كله أمامك لتحققى كل أحلامك .

دفعت رقته بالدموع إلى عينى .. توقف فى الطريق وأنزلنى ونزل معى .

ـ أين سنذهب .. انتظر .

لم يهتم لاعتراضى وقادنى لأحد الكازينوهات المطلة على النيل .

ـ أنا أريد الذهاب للعمل .

ـ لن أتركك حتى تبتسمى .

ـ هأنذا قد ابتسمت .

ضحك (محمود) بشدة .

ـ هل تسمين هذه ابتسامة ؟ إذن كيف تكون التكشيرة !

ابتسمت على الرغم منى .

ـ هأنذا قد ابتسمت . اتركنى أذهب .

حاولت أن أقوم ، لكنه أشار لى لأجلس .

أتريدين أن نقوم دون أن نطلب شيئًا .. لايصح .. ها هو ذا (الجارسون).. من فضلك اثنين عصير .

سكت قليلاً وكأنه يستجمع أفكاره قبل أن يقول :

ـ (هدى) أنا أريد أن أحدثك .

أطرقت برأسى .. وددت لو أهرب ، لكن كيف وإلى أين ؟

ـ كيف حال (ثناء) ؟

حاولت تغيير الموضوع .. لكنه لم يتركنى أفعل .

ـ (هدى) أمازلت تعتقدين أن الوقت غير مناسب لحديثى هذا ؟

فهمت إلام يشير .. ماذا أقول له ؟ يجب أن أعلن رأيى ..

فأنا كنت أنتظر بفارغ الصبر أن يفاتحنى فى الموضوع مرة ثانية .. علىّ أن أعترف لنفسى - على الأقل - بذلك .. حتى إننى خشيت أن يكون قد نسى الموضوع أو صرف نظرًا عنه ..

- لا .

خرجت بصوت هامس ضعيف .. لا أدرى هل سمعه أم لا .. على أى حال استكمل حديثه :

- أنت الآن قد تخرجت وتعملين ، وبعد وقت قصير ستحصلين على الأرض ..

أنا أيضًا لم يبق أمامى سوى أقل القليل وأنهى دراستى .

- نحن .. نحن .. لانعرف .. بعضنا .. بالقدر الكافى .

- وكيف سنفعل ، وأنتِ تهربين منى كلما حدثتك ؟ وقتك مشغول بالعمل .. وتقريبًا تمنعيننى من زيارتك

فى بيت عمك .. ولاتأتين لزيارتنا منذ تزوجت (ثناء) :

- أنا .. أنا لا أتعمد .. أنا فقط .. أنت تعرف .. أعمل من السابعة صباحًا للسابعة مساء .. اليوم يضيع .

- قريبًا جدًا ستحصلين على الأرض ، وعندها ستتركين العمل .

- طبعًا .

- أنتِ لاتريديننى أن أتقدم !! حتى نتلاقى أكثر ونتأكد من مشاعرنا ، أو بمعنى آخر حتى تتأكدى أنتِ من مشاعرك نحوى أو مشاعرى نحوك ..

مد يده ليمسك يدى فسحبتها .. وأخفيتها تحت المائدة .

- هدى .. هل أنتِ خائفة !؟ هل تخافين منى ؟ هل يخيفك أى شىء .. وتخافين إخبارى ، كما كتبتِ فى تلك الرسالة ؟ (هدى) لاتخافى منى أبدًا .. أبدًا .. لايوجد مايدعوك لذلك .. لا تخافى أحدًا أو شيئًا .. أخبرينى بمخاوفك ودعينى أبددها عنك .

أسرنى حديثه ورقته وتذكُره لما كتبت .. لم أستطع أن أدعى أنى لم أعنى ما كتبت .. كنت أظنه سيغضب ويحتد ويتركنى ويترك الأمر ، لا أن يتحدث بهذه اللهفة والرقة .

ـ ألم تقولى إنك تطلبين وتسألين يد المساعدة ؟؟ أنا أريد مساعدتك .. لكن يجب أن تمدى يدك .. يجب أن تسمحى لى ـ حبيبتى ـ أن أساعدك.

أرتجف قلبى بشدة .. خرجت الكلمة من بين شفتيه فى تلقائية .. لم يسبق أن تصارحنا بالحب .. ذُبت وأحسست أنى أشتعل .. ظل لسانى منعقدًا .. لا أعرف كيف أتكلم .. هل أدركَ ما يحتدم داخلى !

ـ سأترك لك الوقت الكافى ، ولن أتعجلك ، فقط أتمنى أن تصارحينى بكل ما تفكرين فيه .. فقبل كل شىء نحن أهل يا (هدى) ..

أوصلنى للعمل .. كنت أود العودة للبيت .. لكننى لم أستطع التراجع ..

شغلنى كلامه .. ظللت أفكر فيه .. لماذا لم أجبه .. لماذا انعقد لسانى ولم أتكلم ؟ أخرجت كراستى وبدات أكتب :

يترك قلبى .. على الرغم منى .. أشعر به ينبض .

يتحرك قلبى .. يسألنى عن الحب .. ماذا يعنى ؟

يسألنى القلب .. لم أهرب ؟

فأخبره بأنى خائفة .. فيقول : وماذا عنى ؟!

يسألنى القلب .. ولا أدرى .. كيف أجيبه .

يا قلبى ما بك .. تسألنى وأسألك .. ولا ندرى شيئًا .

يا قلبىِ ما بك .. تنتفض بصدرى ..

تهوى ، أم لا ؟ إياك أن تهوى .. فى قرار سحيق ..

يا قلبى اسكن .. اهدأ .. لاتسألنى .. وسيُجيب الزمن ..

يومًا ما .. يأتى ويُخبرنى .. مامعنى الحب ؟

ولماذا يتحرك .. قلب كالطود .. ظننته يومًا قد أرسى ..

ظننته يومًا لا يعرف .. وطنًا غَيرى .. لا يعرف سوى صدرى ..

يا قلب إلى أين ؟ لا تذهب لا تلوى على شىء .. اسكن لا تبنى وهمًا تسكنه .. لا تزرع زرعًا .. لاتعرف .. كيف تحصده ..

يا قلبى المتسرع اصبر .. لا تسبق قدرك ..

ويخبرنى القلب .. أنه لايهذى .. إنه يعرف مايفعل .. أكثر منى يخبرنى القلب .. أنه يعرف ما يبغى .. وأسأله خائفة .. أحقًا يا قلبى ؟

فيطمئننى .. أنا أعرف ما أبغى .. أعرف ما أبغى .

ترى مع من أتكلم ؟ خالتى و(ثناء) طرف فى الموضوع وسأتحرج من الكلام معهما ..

ذهبت لزيارة (ندى) قصصت عليها كل شىء من البداية إلى النهاية ..

كل ما قال لى (محمود) وكل ما أفكر فيه أنا .. سألتنى (ندى) فى حيرة عن المشكلة .

ـ لا أعرف كيف أخبره أنى موافقة .. كما أنى لست متأكدة بعد من أنه يحبنى .. ولست متأكدة كذلك من أن مشاعرى حقيقية .

ـ ألا تثقين بأنك على نضج كاف لتعرفى حقيقة مشاعرك !

ـ لم أعد أدرى شيئًا يا (ندى) .. أخاف أن أفعل شيئًا أندم عليه .

ـ وتخافين أن تندمى على شىء لم تفعليه .

ـ ها قد فهمتنى .

ـ لا . لم أفهمك ، أنتِ لن تتزوجى بين يوم وليلة أعطيه وأعطى نفسك فرصة .. ما الذى يمنع أن يخطبك ؟

ـ لا أعرف .. أليس من الأفضل الانتظار ؟

ـ انتظار ماذا ؟ إن معه حق . أنتِ لا تتركين له الفرصة كى يراك ويكلمك ..

وفى النهاية لن تصلا لشىء .

خرجت من عند (ندى) وأنا أكثر خوفًا .. ترى هل أنا خائفة من (محمود) ؟!

إن (محمود) لا يُخيف .. يبدو أنى خائفه من نفسى ومن مشاعرى ..

(ندى) معها حق .

ذهبت لزيارة خالتى .. دخلت إلى حجرة (ثناء) .. بعد قليل جاءت خالتى ورائى .

ـ مالك ؟ لماذا تجلسين وحدك ؟

ـ أفكر يا طنط .. وأتذكر .

ـ ألست سعيدة عند عمك ؟

ـ بلى .. إنه يعاملنى كابنته تمامًا .

ـ إذن مالِك ؟

ـ لا أدرى يا طنط ..

تنهدت بعمق وأكملت :

ـ يبدو أن لا شىء يُرضينى .

ـ لاتقولى هذا يا (هدى) أنتِ طوال عمرك عاقلة .

وهذه هى المشكلة ، فكرت فى نفسى .. أطرقت ..

.. سكتنا قليلاً قبل أن تبدأ خالتى فى الحديث مرة أخرى :

ـ (هدى) (محمود) كلمنى فى موضوع .. وأريد معرفة رأيك ..

إنه يريد أن يأتى ليطلبك من عمك بمجرد حصوله على الشهادة ..

ما رأيك ؟

سكتّ .. لم أرد .. ماذا أقول ؟ ابتسمت خالتى وأخذتنى فى أحضانها .

ـ أصبحت عروسة يا (هدى) سريعًا .. كم أتمنى لو أن أختى هنا لتراكِ .

.. بكيت وبكت .. مسحت دموعها ودموعى ..

ـ هكذا نحن يا نساء ، نبكى حتى عند الفرح .. يبدو أن (محمود) نسى أن السكوت علامة الرضا .

قرصت خدى وهى تكمل ـ خصوصًا مع فتاة مثلك تعرف جيدًا كيف ترفض وتقول لا .

ابتسمت لكياسة خالتى وذكائها .. فابتسمت هى الأخرى وعادت تحتضننى قائلة : مبارك يا حبيبتى .. ألف مبروك

* * *

ـ لا فائدة .. أنا تعبت ، مالى وللزراعة !!

ـ بهذه السرعة تتعب يا باشمهندس .

ـ ألم نتفق على إقامة مزرعة سمكية ؟

ـ لم يحدث .. اتفقنا على حظائر لتربية المواشى .

ـ بل مزرعة سمكية .

ـ لا تغضب .. الاثنتان معًا .. ما لهذا ولتعبك ؟

ـ سأهتم أنا بتربية الأسماك أو المواشى .. لكنى لن أزرع .

ـ ما هذا الكلام الجديد ؟ قل الحقيقه .. اعترف مالك ؟

ـ (هدى) .. ألن نتزوج !؟

اقترب منى ومد يديه ، أحاط ذراعىَّ .

ـ يديك يا باشمهندس !!

أنزلت يده وابتعدت للوراء .

ـ أنتِ زوجتى .

ـ على الورق فقط ... لم نزف بعد .

ـ متى الزفاف ؟ منزلنا جاهز لا ينقصه شىء .

ـ وكنت تعيب على (أحمد) تعجله !!

ـ لقد عذرته .. أتعاقبينى لذلك ؟

ـ وهل أستطيع ذلك .. فقط أظهر جدية أكثر فى العمل وعندها ؟

ـ ماذا ؟

سكتَ قليلاً ثم مازحته .

ـ نجعل الزواج بعد سنة

ـ أنا عائد للقاهرة الآن .

ـ فى مثل هذه الساعة ؟

سألته وأنا أضحك .. لا أدرى ماذا حدث له ليتصرف وكأنه عاد للوراء عشر سنوات .. أين ذهبت رصانته !

ـ نعم فى مثل هذه الساعة .

ـ لا تغضب .. أنسيت أن السيارة لن تأتى لتأخذنا قبل ثلاث ساعات .

ـ لا يهم ، سأمشى حتى الطريق الرئيسى .

ـ وأهون عليك .. تتركنى وحدى ؟

ـ (هدى) ألم نتخط هذه المرحلة ؟ ألم نتفق على المكاشفة والمصارحة ..

متى الزفاف .. أنا لا أمزح .

قلت له بدلال :

ـ وأنا لا أتكلم فى مثل هذه الأمور .. هذه الأمور يقررها الكبار ..

هل وافقت على الخطوبة ! هل سألتنى رأيى وأجبتك .. هل اتفقت على عقد القران ؟

ـ أهكذا !! حسن .. غداً أذهب لعم (صادق) ، وإن لم يصبح الزواج بعد أسبوع .. قولى ما تشائين .

قالها فى تهديد ناعم .. ثم سار وتركنى .. ابتعد فى خطوات واسعة ، جريت لألحق به .

ـ (محمود) .. لا. انتظر يا (محمود) .. لا تفعل .. يا مجنون .. عُد .

(تمت)

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٢٠٤٧٤

الترقيم الدولى : ٦ ـ ٨٥٥ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



منى منصور

معنى السكوت

عندما أخذها عمها لتعيش
معه شعرت بأنها لا تملك من
أمرها شيئًا .. وتمنت أن تعود إلى
منزلها .. الزواج هروب من المشاكل ..
هكذا قالت (هدى) .. لكن هل
تظل على رأيها ؟

95

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر ٢٥٠ قرشًا
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم



٣٠ / ١٢ / ٢٠٠٢